الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللّغة والأدب العربي

التّخصص: نقد حديث ومعاصر

التّشكيل بالماء في الخطاب الشّعريّ الجزائريّ المعاصر
دراسة في نماذج مختارة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطّالب :

الويزة توات

إشراف الأستاذ :

لعريبي عواج

لجنة المناقشة :

أ.د/ رابح ملّوك	جامعة البويرة	رئيسا
أ/ لعريبي عوّاج	جامعة البويرة	مشرفا
د/ تسعديت جبيد	جامعة البويرة	مناقشا

السّنة الجامعية : 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues
جامعة البويرة

قسم اللّغة والأدب العربي

التّخصص: نقد حديث ومعاصر

التّشكيل بالماء في الخطاب الشّعريّ الجزائريّ المعاصر
دراسة في نماذج مختارة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطّالب :

الويزة توات

إشراف الأستاذ :

لعريبي عواج

لجنة المناقشة :

أ.د/ رابح ملّوك	جامعة البويرة	رئيسا
أ/ لعريبي عوّاج	جامعة البويرة	مشرفا
د/ تسعديت جبيد	جامعة البويرة	مناقشا

السّنة الجامعية : 2025/2024

إهـــداء

إلى جدّتي ينبوع الحنان وصفاء القلب الّذي لا تعطّره الأيام ، يا ماء الرّوح الرّقراق الّذي يروي أرواحنا حبّا وسلامًا ، في حضنك وجدت سكينة الينبوع ودفء الحياة ، وكنت دوما بلسم أيّامي ومصدر طمأنينتي.

تشكّر وعرفان

أشكر الله على منّه عليّ بنعمه الفيّاضة، وأحمده بكرة وعشيّة. كما أتوجّه بالشّكر الجزيل والامتنان الغفير للأستاذ لعريبي عواج الّذي أخصّه بتحيّة عطرة ملؤها التّقدير والاحترام لما أبداه من كرم في الإشراف على مذكّرتي ، والّذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة ، وكان صدره رحب في كلّ صغيرة وكبيرة، ولا يسعني في هذا إلاّ أن أعبّر عن خالص امتناني وعظيم شكري.

كما أتقدّم بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير للدّكتورة قواوي زهرة على مساعدتها القيّمة الّتي كانت لها أكبر الأثر في هذا المشوار الّذي قمت بإعداده ، فدعمكم وتوجيهاتكم لا تقدّر بثمن.

عَلَى دَفِّ "السَّمَاءِ" "رَقَصْتُ" غَيمَا

وَبِي مِنْ جَذْبَةِ الأَسْمَاءِ "مَاءُ"

سَمِعْتُ مُنَادِي "العَطْشَى" بِصَوْتي

فَكُنْتُ الغَيثَ مُذْ كان النّداءُ

أُرَبّي في "دُمُوعِ" الحُزْنِ شَيْخَا

له أوراد من ظمئوا فجاءوا

هارون عمري

شاعر جزائري معاصر

مـــقـدّمـــة

مقدّمة :

" **الماء**" تطهير وشرط للخصوبة، ألم يطهّر الله الأرض بالطوفان ؟ ، ويخلق من **الماء** كلّ شيء حيّ، وعندما لا تمطر السّماء ألا يقيم المسلمون صلاة الاستسقاء، وكذلك يصعد المؤمن إلى السّماء ليسكن في جنّة تجري من تحتها الأنهار.

ألم يقدم السّيد المسيح **الماء** إلى تلامذته قائلا: « اشربوا... هذا دمّي! » ومشى فوق **الماء**، وتعمّد **بالماء**، و**الماء** رمز من رموز الأمومة، وحركة **الماء** تدعونا إلى السّفر والرّحلة، أمّا المياه الجامدة فتوحي بالموت، **فالماء** له حضور دائم إنسانيّا ودينيّا وحضاريّا.. وله حضور شعري ومن منّا لا يتذكّر أنشودة المطر للسّياب، ومن هنا قفزت إلى ذهني ووجداني "**موضوعة الماء**" في الشّعر، وتحديدا في الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر....، فكان موضوع مذكّرتي هو: " **التّشكيل بالماء في الخطاب الشّعري الجزائري**"... **دراسة في نماذج مختارة**، حين تتعالق نصوص تلك النّماذج مع الحضور العجيب **للماء** وتحوّلاته ورمزيّته عند كلّ شاعر من أجيال مختلفة، تحت مسمّى « الشّعراء الجزائريّون المائيّون» .

ويعتبر ما سبق ذكره سببا وجيها لاختياري ذلك العنوان كموضوع للدّراسة، ولعلّ من أبرز الدّراسات الّتي تناولت الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر بالدّراسة ومنه **موضوعة الماء** نذكر:

- تحوّلات الشّعرية الجزائرية المعاصرة " النّص- الشّكل – السّياق-" لعبد القادر رابحي.
- يتمُّ النّصّ، الجينيالوجيا الضّائعة للكاتب الجزائري أحمد يوسف.
- دلائلية النّص الأدبي، دراسة سيميائيّة للشّعر الجزائري لعبد القادر فيدوح.
- شعريّة القصيدة النّثرية الجزائريّة لـ : الباحثة الجزائريّة نهاد مسعي.

وجميعها تتناول حيثيّات النّصّ الجزائري المعاصر من حيث المبنى والمعنى.

ويطرح الموضوع أسئلة عديدة وإشكاليّات كثيرة من أبرزها:

– إلى أيّ مدى اشتغل الشّعراء الجزائريون المعاصرون على موضوع **الماء** ؟

– وكيف هي نظرات وفلسفة أولئك الشّعراء، عبر أكثر من جيل واحد في تشكيل نصوصه بمعجم **الماء** ؟

– وسؤال آخر أراه مهمّا وهو: هل تحقّقت شعريّة النّص الجزائري المعاصر دلاليا وفنّيا، بتوظيف ذلك المعجم ؟

توزّع البحث على مقدّمة، مدخل وفصلين اثنين وخاتمة.

فأمّا المدخل فكان بعنوان : **الماء** في الحضارات الإنسانيّة والأديان السّماويّة، وتفرّع إلى ثلاث مباحث هي : **الماء** والفلكلور الشّعبي، و**الماء** والأديان السّماوية، ثمّ **الماء** في التّراث الأمازيغي، كخصوصية في الخطاب الشّعري الجزائري المعاصرة، إذا قورن بالخطابات الشّعرية العربيّة المعاصرة.

أمّا الفصل الأوّل من البحث، فجاء تحت مسمّى:**الماء** والعتبات النّصّية وتفرّع بدوره إلى ثلاث مباحث هي:

مبحث أوّل بعنوان : **الماء** والعنونة الرّئيسة.

يليه مبحث ثان بعنوان: **الماء** والعناوين الفرعيّة، ثمّ مبحث أخير هو **الماء** والنّص الشّعري.

أمّا الفصل الثّاني ففضّلنا أن يتناول الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر في مطلع الألفية الثّالثة عند جيل الشّعراء الشّباب، باعتبار تجاربهم الشّعرية تختلف من حيث البناء والتّصوير ومن ذلك تناولهم لمعجم **الماء** تناولا لافتا ومتميّزا.

وتناولنا فيه أيضا العنونة الرّئيسة وتواشجاتها مع العناوين الفرعيّة للنّصوص، ثمّ استحضار **الماء** على مستوى المتن الشّعري ككلّ، وفي ذلك ارتأينا أن نلتفت إلى شعراء من جيل الألفية الثّالثة حين يبدو التّشكيل **بالماء**، عندهم مختلفا لغويا ودلاليّا وجماليّا.

أمّا المنهج الّذي استندنا إليه في الدّراسة فهو منهج تكاملي يجمع بين الأسلوبية والسّيميائية لاعتمادنا على معمار النّصوص لغويّا وتركيبيّا، وهو يدخل في المنهج الأسلوبي ثمّ القراءة التّأويليّة الّتي تستند إلى العلامة اللّغوية في بعدها الإيحائي والفنّي الجمالي وذلك من السّميائيات .

ومن أبرز المراجع المعتمدة في هذه الدّراسة نذكر:

- موسوعة الفلكلور والأساطير العربيّة لشوقي عبد الحكيم .
- الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة لنبيل منصر.
- المقدّس الدّيني في الشّعر العربي المعاصر : أحمد زكي كنون.
- أسلوبيّات القصيدة المعاصرة ل: أحمد الزعبي.

لا شكّ أنّ هذا البحث قد اعترضته بعض الصّعوبات منها :

صعوبة الخوض في هكذا نصوص معاصرة، فأغلبها يستعصي علينا الخوض فيه باعتباره يبني على مكوّنات ثقافيّة وفلسفيّة وخطابات شعريّة، تستعصي على أغلبيّة الباحثين، لأنّها تخوض في الشّعر والفلسفة والثّقافات المتنوعة...مع قلّة المراجع المعاصرة الّتي تناولت تحديدا موضوعة **الماء** عند كثير من الشّعراء الجزائريّين المعاصرين، وذلك يعتبر عائقا آخر... غير أنّ الإرادة والعزيمة وتعاون المشرف وبعض الزّملاء الأساتذة وأذكر في طليعتهم د/ زهرة قواوي ، وأساتذة آخرين من قسم اللّغة العربيّة، وأيضا من قسم اللّغة الأمازيغية خفّف من تلك الصّعوبات، فكان لا بدّ من التفاتة شكر خاص لهم جميعا.

الفصل الأوّل : الماء في الحضارات الإنسانية والأديان السّماوية

مبحث (1) : الماء والفلكلور الشّعبي

مبحث (2) : الماء والأديان السّماوية

مبحث (3) : الماء والتّراث الأمازيغي

مدخل : الماء في الحضارات الإنسانية

يلعب **الماء** دورا بارزا في عديد أساطير العرب وغير العرب وفي حياتهم ووقائعهم حتى فلكلورهم.

ويذكر لنا التّاريخ حضارات **الماء** في مصر والعراق ونهر النّيل ودجلة والفرات، وأيضا قصص وأساطير الآلهة في الحضارات العربية واليونانية ...ويحضر **الماء** سواء أيّام الخصوبة أو الجذب و**الماء** كان على الدّوام دافعا للهجرات والإغارات والحروب في السّير كما في الملاحم.... وجميعنا يستذكر (السّيرة الهلالية)، وهجرتها الكبرى إلى الجزيرة العربية والمغرب العربي وحتّى أوروبا هربا من الجدب والعطش وبحثا عن **الماء** والزرع، و**الماء** مهبط عرش الآلهة السّامية وصولا إلى إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث نبعت وفجّرت لهما المياه وجرت لهما حيث حلّا وارتحلا ، فإبراهيم نبعت له (بئر السّبع بفلسطين) وبكره إسماعيل فجّرت له المياه معجزة خارقة، حيث منفاه ب (واد غير ذي زرع بمكة)، فكان بئر زمزم أو **ماء** زمزم وقصّته الضّاربة في العراقة والحضارة المائية بعد أن كوته ألسنة العطش في جدب الصّحراء الممتدّة وكذلك خلّد **الماء** اسم والدته هاجر مثلما خلّدته، ففاضت المياه في الوديان القاحلة. لقد كان صراع **الماء** هو جوهر الكينونة الإنسانية وبقائها واستمرارها منذ الأزل وظلّت حكاياه مستمرة. ولما كانت الأساطير في منشئها وغاياتها تأليه لعناصر الطبيعة من برق ورعد ورياح وسحب، كان لابدّ من تأليه لعنصر **الماء** وأسطرة له، وتحوّلت أمكنته إلى أماكن مقدّسة ومزارات وأضرحة . حيكت حولها حقائق وخرافات وقصص وأساطير، وقد ورد **الماء** في آيات قرآنية كثيرة، في أكثر من موضع وبدلالات مختلفة كما هو في قوله تعالى: « وَقَالُواْ لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّي تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ اَلاَرْضِ يَنبُوعاً

(90) اَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّة مِّن نَّخِيل وَعِنَب فَتُفَجِّرَ اَلاَنْهٰرَ خِلٰلَهَا تَفْجِيراً (91)»[1] ، توحي بارتباط الإيمان بتفجير أنهار **الماء**، ويترتّب عن ذلك تقديس **الماء** وتأليهه، وانبثاق عديد المعتقدات والأفكار عنه كصراع الخير والشّر مع الظّلام والنّور ... وتتحوّل المجتمعات الإنسانية – ومنها مجتمع الشّعراء إلى مجتمعات غيبيّة ذات طقوس عجيبة، ويتحوّل **الماء** إلى ظاهرة حضارية فيها من القساوة ومن الرّفاهة، وفيها من الأساطير وغيرها. « ويسجّل **الماء** تواجدا لافتا في الدّيانات الثّلاث(اليهودية والمسيحية والإسلام) مثلما يسجّل تواجده في حكايا الأنهار وأساطير الآلهة وطقوس العبادات وكل ذلك يحيك نسيج الحضارة المائية.

وأسطرة **الماء** كثيرة ما تعود بنا إلى ذلك الصّراع المبثوث في القصص الدّيني : كإقدام ابني نوح عليه السّلام (حام، وسام) – بعد الطّوفان – على تقديم قربانيهما إلى الرّب وكيف تطوّر الصّراع إلى مأساة ، بأن اغتال المزارع قابيل الرّاعي هابيل ،ثم تحوّلت إلى فكرة أسطورية لها أشدّ الارتباط بالسماء ، أي بالماء»[2].

وكذلك نستذكر ملحمة جالجامش في الحضارة السّومرية بدفع الاستيلاء على ينبوع **ماء**، لنصل إلى تهديم سدّ مأرب وصراع أبناء الأنبياء حول أنهار ومياه....

وفي السّير الشّعبية وفلكلور الشّعوب ،تصادف **ماء** الحياة ذلك السّائل السّحري الّذي يبعث الموتى إلى الحياة، ويتبدّى في عديد الحكايات العربية، فقد يبعث بالبطل لإحضار **ماء** الحياة من بئر أو بستان أو جبّ أو نهر بعيد جدّا. و ربما يختلط ذلك بالحكايا الخرافية حول ما يسمى ينبوع الشّباب أو **ماء** الشّباب. فالأسطورة البابلية مثلا تحكي أن عشتروت نزلت إلى العالم السفلي

1 – سورة الإسراء ، الآيتان 90–91.

2 – أنظر شوقي عبد الحكيم،موسوعة الفولكلور والاساطير العربية ، دار العودة ، بيروت ، 1982 ، ص 34.

لإحضار **ماء** الحياة لابنها تموز لتعيد إليه الحياة وتلك فكرة تتكئ إليها حكايا **الماء** الذي يعيد الشّيخ إلى شبابه الأوّل وإلى صباه وغيرها من الحكايا.

المبحث الأوّل : الماء والفلكلور الشعبي (الأساطير)

تحكي العديد من القصص الشّعبية والأسطورية العربيّة، سواء كانت شفهية أو مدونة، قصة النّبي إبراهيم الخليل (عليه السلام)، الّذي يعتبر شخصيّة مهمّة في الدّيانات السّماوية :(الإسلام، واليهودية والمسيحية).

رغم اتّفاق هذه المصادر على أساسيات مشتركة حول سيرته، وإن كانت تختلف في بعض التفاصيل. يقال بأنّه ولد بعد الطّوفان ب 1263 سنة، أو بعد خلق العالم ب 3337 سنة، فهو يضاهي كلّ الأبطال الأسطوريين والفلكلوريين « هؤلاء الّذين يجيئون في أزمات لتحقيق رسالاتهم، ولكنّهم يواجهون بالإضطهاد من جانب أبائهم أو من جانب ملوك الطغاة، وإبراهيم، ولهذا يصنّف مع هؤلاء الأطفال الموعودين والمتنازع عليهم مثل : رومولس ، ريموس ، وسميراميس وموسى، وأوديب وكيروس» [1]، عند الفرس و غيرهم، وهي فكرة متداولة في كافة أساطير وحكايات العالم.

وتحكي هذه القصّة عن والد إبراهيم آزر ،الّذي كان وزيرا للملك النّمرود في مملكة كوشار، وذات ليلة إذ بمقام مفزع ولد إبراهيم بمعجزة « حيث كان يلعق أحد أصابعه فيخرج منه العسل، والآخر فيجري منه اللبن، والثالث فينبع منه **الماء**، فكان ينمو بصحة وقوة خارقة » [2] .

1- الماء والعطش في الفلكلور العربي :

يعتبر **الماء** العنصر الأوّل في مجمل أساطير وفلكلور العربية، بدون استثناء، فهو حين يكثر ويفيض في أماكن ذات دلالات، الأنهار في مصر والعراق، ومنه يتولّد الطوفانات، من بابلية لآشورية، حثّت عليها النّصوص الأولى لملحمة جلجاميش، أيضا طوفان الآلهة الغاضبة أو بما تسمى طوفان نوح .

1 - شوقي عبد الحكيم ، موسوعة الفولكلور والأساطير العربية . دار العودة بيروت . 1982 ، ص 34.
2- المرجع نفسه ، ص 36.

فالماء كان دائما مصدر الحرب والإغارة في ملاحمنا وسيرنا، وعلى سبيل المثال السّيرة الهلالية وهجرتها الكبرى من الجزيرة العربية، هروبا من الجدب والعطش، بحثا عن الزّرع والضّرع، في سهول الشّام وفلسطين وتونس الخضراء حتى مداخل الأندلس أوروبا الجنوبية.

يرتبط **الماء** أيضا في القديم بعملية الاستسقاء، فكان النّاس يقصدون معابدهم وأصنامهم، ويقيمون فيها صلواتهم، وطقوسهم، و ذلك بتقديم القرابين، رغبة في الحصول على **ماء** أو طقس ملائم ومحصول وفير.

ولكنّ لو تنتقل إلى الجزائر وخاصّة المناطق الغربية، فلهم مفهوم وأفكار تقدم على جلب **الماء** والمتمثّلة في : « يقوم الأطفال بترديد أنشودة غنجة في شوارع القرية، أو الحيّ، عندما تنقطع الأمطار ويسود الجفاف، وهم يحملون ملعقة كبيرة، يلبسونها ألبسة جميلة، فتصبح على شكل دمية ويرفعونها إلى أعلى وهم يسيرون بين الشّوارع، فيقربون بجمع المواد الغذائية ، لتحضير وجبة بعد نهاية الدورة ويأكل الجميع » [1].

فغنجة بمثابة إله عيسى أن يرحم البلاد والعباد بالأمطار فهو إستسقاء شعبي.

ولا يتوقّف التّعامل مع **الماء** عند هذا الحدّ، بل هناك معتقد شعبي آخر يرتبط بعالم الجن والشّياطين، فهم يرفضون الاستحمام في بعض الأوقات من اليوم، والحكمة الشّعبية تقول في هذا المعنى: « عوّامة ونوّامة من العصر لهيه ما ضمنت لهم السلامة »[2]، ففي اعتقادهم أنّ الاستحمام من وقت العصر إلى المغرب قد يؤدي إلى الإصابة بالجنّ والشّياطين، فهي تنشط في هذه الفترة.

فالماء أصبح في هذه الحالة يعرض صاحبها للمكاره والمصائب.

1 – انسانيات المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد 19–20 ، 2003 ، ص 81–87.
2 – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

وبصفة عامة الماء هو المتحكم في حياة النّاس . لذا احترموه واجتهدوا للحصول عليه بكل الوسائل.

2- الماء رمز للثواب والعقاب :

اعتبر **الماء** في الأساطير قديما، رمزا للعقاب، فإله أهرمان عند الفرس، غضب، فعاقب البشر بسبب الفساد الذي انتشر في العالم ، فأغرقهم بالمياه التي أصبحت طقسا دينيا، يلزمهم الاستحمام بمياه النهر عند بزوغ الشمس وغروبها.

وأمّا في بلاد ما بين النّهرين قد ساهم إله اللّيل في غرق أربع مدن عراقية قديمة وهي: أورو الورقاء، وكيش وشور وباك بسبب فسادهم، كما ظهرت على الألواح السّبعة السّومرية « أسطورة تعتقد أن الآلهة أرسلت الطوفان العظيم لعقاب البشر المخطئين »[1].

وهذا من أجل القضاء عليهم وإغراقهم، هذا نتيجة تكاثرهم وكثرة ضجيجهم الذي أزعج الإله انكي وبقية الآلهة، **فالماء** عقاب إلهي ارتحلت إلى الأديان السّماوية.

والعقاب تطهيري بالأساس لأنه لا شيء مثل الماء، يرفع التنويه ويرفع الدّنس.

1 – زهرة الثابت،رمزية الماء والنار والأساطير والأديان ، مجلة نقد وتنوير ،العقد الثامن، حيزران، يونيو2021، ص 314.

المبحث الثّاني : الماء و الأديان السّماوية

1- الأديان القديمة :

أرخّت لتقديس المياه، فالمصريون القدامى كانوا يعتقدون أنّ عرش الآلهة يستوي على **الماء**، واليونانيون القدامي قدّسوا البحار، وبجلوا إلهها بوسايدون وجعلوه من أهم الآلهة ورمز القوة، كما كان **الماء** مشاركا كإله للخصوبة والطعام، أمّا السّومريون فرأوا أنّ **الماء** هو أصل الوجود والحياة.

2- الديانات السّماوية :

في المسيحية نجد أهمّية **الماء** في إقامة مراسيم التّعميد ولا يعوّض بمادة أخرى، حيث تقول أساطير المسيحية أن المسيح عليه السّلام تمّ تعميده **بالماء** الجاري نهر الأردن على يدّ النّبي يحي يوحنا فكان لهذا التّعميد أثره الخاص والمهم بلاهوت المسيح و الكنيسة من بعده، فيدخل **الماء** في عملية التّعميد الكنسي وصلوات القربان المقدس عند المسيحيين كرمز للتّطهير من الذّنوب.

أمّا اليهودية، **فالماء** عندها مقدّس تقديسا كبيرا، وهذا يظهر جليّا واضحا في مراسمها الدّينية، وفي فكرها أيضا روح الله على وجه المياه التوراة التكوين، « ومن فرائض اليهودية أيضا استخدام **الماء** في طقوس التّنظيف وتبرئة الذّات من الذّنوب وفي التّعميد أحيانا، كما يعمد إلى غسل أياديهم قبل كل وجبة طعام وعن طريق تقليب **الماء** بين الكفّين اليسرى واليمنى بمثابة تبرّك»[1].

3- تأليه المياه :

تشير الأساطير القديمة والدّراسات التّاريخية إلى أنّ سكان بابل وأشور كانوا أول من ابتكر وعبد آلهة المياه، وقد قدّموا لهذه الآلهة القرابين والعطايا تعبيرا عن تقديسهم لها ونذكر منها :

1 – علاء النشمي الترميذا ، أسطورة الماء في الأديان ، فكرا وطقسا ، الوسيط على الخط، ص 14.

الله أيد ID : هو إله المياه العذبة وتوزيعها.

الآلهة نينا NINA :آلهة الينابيع والأنهار والأمطار المتجلّية بين الغيوم وتحمل ينبوع الحياة الفوار

إله نندرا Nindara وهو إله البحر والعارف بخباياه والسبب في هدوءه وهيجانه والسّبب في غرق السفن.

الاله انبيللوا Anpillou : وهو مسؤول الأنهار والبحيرات و**الماء** العذب وهو صاحب النّهري وحاميهما دجلة وفرات.[1]

أما عند اليونان فقد كانت الآلهة المشهورة هي:

ايزيس وبوسايدون ومينارفا وكل له طقوسه ووظيفته التي يؤدّيها في الحفاظ على السّلم والسّلام وإعادة البعث والحياة الأبديّة من خلال الحفاظ على **الماء** ومنحه لمحتاجيه و**الماء** المقدّس وما يسمّى بأكسير الحياة والذي لا يمنح إلّا للحكّام والملوك العظماء والأشخاص في مصافي الآلهة[2].

4- الماء في قصص الأنبياء الواردة في القرآن :

ارتبط كثير من قصص الأنبياء الواردة في القرآن بذكر **الماء**، فكان نجاة للمؤمنين، وهلاكا للكافرين، كما سيذكر مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :

قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام مع الماء : عرفت بصبرهم، وثقتهم بالله، وهي من القصص المهمّة في الإسلام، فهي مرتبطة ببئر زمزم في مكة، وهو **الماء** الّذي يشربه الحجّاج والمعتمرون حتى اليوم.

1 – محمود الأمين ، شعار سومر ، مجلة بغداد ، العدد 8 ، 1985 ، ص 226.

2 – ميرسيا إلياد ،عباس عبد الهادي،تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ج2،دار دمشق، 1987، ص 396-399.

يظهر إيمانهما حينما أمر الله إبراهيم بالتّخلي عن زوجته هاجر وابنه إسماعيل في واد قاحل، لا يوجد فيه لا **ماء** ولا زرع وهو مكة، وإبراهيم عليه السّلام كان يعرف بطاعته لله وثقته به، ممّا جعله يتركهما في ذلك المكان، فدعا قائلا : "ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيتي بواد غير زرع عند بيتك المحرّم، ربّنا ليقيموا الصّلاة فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم وارزقهم من الثّمرات لعلهم يشكرون[1].

بدأت هاجر تبحث عن **الماء**، بسبب عطش ابنها، وجرت بين جبلي الصّفا والمروة سبع مرّات، تبحث عن بصيص أمل في إنقاذ ابنها، وفي لحظة اليأس، ظهر جبريل فضرب الأرض بعقبه، فتفجّرت مياه زمزم من الأرض فأسرعت هاجر تجمع **الماء** بيدها وتشرب وتسقي ابنها، وكان **الماء** بقوّة. هذه المعجزة تعتبر بداية لظهور **ماء** زمزم، الّذي أصبح مصدر حياة النّاسّ في ذلك المكان.

1 – محمد طاهر ،الماء في القران الكريم، دراسة موضوعية،مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد 29،العدد 01، 2021، ص 276.

المبحث الثّالث : الماء والتراث الأمازيغي

1- الماء في الميثولوجية الأمازيغية :

الأسطورة هي شكل من أشكال التّعبير الإنساني الذي يجمع بين الفنّ والعقيدة، وقد اتّفق علماء الانثروبولوجيا ورواد الأدب الشّعبي وعلماء التاريخ على أنّ الأسطورة تعتبر صناعة جمالية إنسانية.

فهي ليست مجرد قصّة تروى، بل هي عمل فنّي يعكس رؤية الإنسان للعالم من حوله، ويجمع بين السّرد الأدبي أو الشّعري الفنّي والجانب العقدي أو الميثي المرتبط بالمعتقدات والأسرار الغيبية .

2- عروس الماء

من بين الممارسات المرتبطة بقداسة **الماء** في الجزائر عادة رشّ العروس **بالماء** إثر خروجها من منزل الأبوّة إلى منزل الزّوجية وهي دلالة على طقس من طقوس العبور، يقول فان قناب : هناك فئة معيّنة من الطّقوس التي ترافق كل تغيّر في المكان والحالة والموقع الاجتماعي والسّن إنّها طقوس العبور هذا الطّقس عبارة عن ممارسة تهدف إلى إعادة إحياء خرافات لا يعرفها الكثير من ممارسيها اليوم، ولا يعرفون مدلولها فهم بالتّالي يمارسون طقوسا ميثيّا يدعو إلى تقديس **الماء**، وهي كما يلي : « في قديم الزّمان وفي أرض الشّاوية الأمازيغ وحسب الرّوايات من الشّيوخ والعجائز الذين يعرفون مدلول الطّقس وإيجابياته عاشت فتاه فائقة الجمال يطلق عليها تيسليت، والتّي تعني حسناء أو الفاتنة، وقد كانت خجولة شديدة الحياء ومحبة لينابيع **المياه**

والأنهار، فكانت تجوّل بين البرك والأنهار والمجاري المائية ترى في **الماء** الحياة تلامس **الماء** وتغنّي وتزور جميع مصادر المياه من الجداول والرّوافد» [1].

أسطورة عروس **الماء** هي قصّة أسطورية تروي حكاية فتاة جميلة تعيش بقرب من المياه وتتمتّع بصلة قويّة مع الطّبيعة والينابيع والبحيرات، كانت الفتاة ترفض مشاعر الحبّ والنّزوات العابرة التي يعرضها عليها الشّباب. وتمضي وقتها في العزلة والجمال، مع مرور السنين ازدادت جمالا وانطواء.

في أحد الأيّام، بينما كانت الفتاة تشرب من بحيرة صغيرة، لاحظها إله المطر أنزار الذي كان في طريقه لسقي أراضي إحدى البلدات، انبهر الإله بجمال الفتاة وبالنّور، الذي يشعّ منها، فقرّر الاقتراب منها، هذه اللّحظة كانت نقطة التّحول في الأسطورة، حيث بدا الإله في التّعبير عن إعجابه بها، ممّا أدّى إلى تفاعل بين عالم البشر وعالم الآلهة، وقد استمرّ الإلحاح على تيسليت التي ظلّت تصدّه رغم مصارحة أنزار بحبه لها. ولكن بدون جدوى، حينها شعر أنزار بإهانة فانقلب الحزن إلى غضب فأوقف المطر عن النّزول نهائيّا، وعادت شمس إفريقيا لتبسط الجفاف على كامل البلاد لتؤول إلى البؤس والشّقاء، ولكن تراجعت في قرارها وقبلت به فجاء الغيث الكثير وتهاطلت الأمطار بغزارة وطارت بها نحو السّماء في شكل وميض خاطف لم تترك خلفه سوى السّعادة والفرح، وتحول تيسليت إلى ما يعرف اليوم بقوس قزح، الّتي تعتبر عروس المطر في الثّقافة الشعبية.

فالماء مهبط عرش جميع الآلهة السّامية، خاصة ايل، أو كبير الآلهة كروس – القاسم المشترك الأعظم لكلّ آلهة الشّعوب السّامية، وكان عرشه على **الماء**، وصنوه المتوحّد به إبراهيم

1 – ابراهيم بن عرفة، جمال معتوق، الماء بين المقدّس والطقوس الممارسة، المجلّة الانثروبولوجية، العدد11،2015 ، ص 16.

الخليل « – انظر : إبراهيم وابنه إسماعيل من هذه الموسوعة حيث تبعت لهما المياه وبعثت، وجرت لهما حيث تواجدا » [1].

بعد أن كان إبراهيم وإسماعيل يعانون من العطش والبحث عن **الماء** في جدب الصّحراء، فإذا بإسماعيل يضرب برجله ف: " نبعت زمزم وفاضت في الوديان القاحلة ".

3– الحضارة الإنسانية ترعرعت في ضفاف المجاري المائية :

بيّنت الدّراسات المعاصرة أنّ الأمم التي تعنى بمرفق المياه، وتأمين نظافته، ودوام جريانه، هي الأمم المتحضّرة، والتي ساعدها ذلك على تأمين صحّة الإنسان، وتطوير أساليب الزراعة، وكما تؤمّن تجميل المدن لما يمكن **للماء** أن يخلقه من حدائق غلب، وغابات خلاّبة ومناظر رائعة.

فالحضارة انحصرت في الأماكن التي تكترث فيها العيون والآبار، ولهذا نجد أنّ الزّراعة تتواجد في الأماكن التي تتوفّر فيها الموارد المائية.

ولقد كانت الحجاز مثلا، ولا سيما ما وقع منه في شمال المدينة عند ظهور الإسلام، مواضيع كثيرة ذات عيون ومياه جارية غرست بالنّخيل، واشتغل أهلها بالزّراعة، وكان وادي القرى كثير المياه، بصورة خاصة. كالبنية إلى باطن الجزيرة العربية، وأقيمت مستوطنات وقرى، ومدن عديدة على مواضع المياه.

إن ركائز التّنمية الاجتماعية تتمثّل في : الغذاء والدّواء والنّظافة، والعمران، ولكن لا يمكن أن تتخيّل وجودها بدون **ماء، فالماء** هو عصب التّنمية الصّناعية، و**بالماء** تحيا الحضارات و بدونها تموت وتذبل.

1 – محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، الجزء الأول،1996، ص 5.

4- الماء جوهر الكائنات جميعا :

إنّ نظرة الإغريق القدماء إلى **الماء** والنّار تعتبرهما عنصرين أساسيين في تكوين العالم، لكنّهما متضادّان في طبيعتهما، **فالماء** يطفئ النّار، والنّار تحوّل **الماء** إلى بخار، فهما يمكن أن يكون مفيدين أو مدمّرين حسب كيفية تعامل الإنسان معهما. على أنّ **الماء** في نظر شاعرهم بيندار جوهر الخير، فكتب يقول: «**الماء** أفضل الأشياء جميعا »[1].

أمّا طاليس الفيلسوف والسّياسي وعالم الرّياضيات، وأحد حكماء اليونان السّبعة، فكان يعتقد أنّ **الماء** جوهر الكائنات جميعا.

والماء بمختلف حالاته الغازية، أو السّائلة أو الصّلبة قد تكون صديقا للإنسان أو عدوا له.

فالجليد يمكن أن يقدّم خدمات، سواء أن يبرّد المشروبات، أو يحفظ الطّعام، ويسدّ الموانئ، وحتى الثّلوج يمكن أن يجعل الحقول مثمرة، وتسدّ الطرق، أو عن الأمطار تجعل الأرض صالحة للحياة، وتنتج كل ثمارها الطيبة ولكنّها تتلف الحقول، وتخرب مساحات واسعة في حالة الفيضانات والبخار حين يخضع لإراداتنا يدفّئ منازلنا ويحرّك أجهزتنا الخاصّة، بتوليد القوى، وحين ينفجر يمرّق ويدمّر.

5- استحضار الماء في الموروث الشّعبي :

نظرا لضرورة وجود **الماء**، أصبح يحمل طابعا خاصا في الموروث الشّعبي، ويتّضح ذلك في ضرورة وجوده، والدّعوة إلى استغلاله بطريقة عقلانية، وأيضا منحه، وهذا ما يتجلّى من خلال الممارسات اليومية لسكّان منطقة القصور بالجنوب الغربي الجزائري عند قبائل الطرافي، وأولاد سيد الشيخ،والقصوريون، وغيرهم، كما تظهر في الأمثال والحكم، إضافة إلى بعض معتقداتهم في الحكايات الشعبية.

1 - المرجع السّابق ، ص 5.

ففي الأمثال الشّعبية: « أرفد **الماء** ولو كان تحط على الما وما تهرق ما، حتى تصيب ما»[1]، فهنا بمثابة دعوة على أخذ الاحتياط اللّازم من الإستهلاك والتبذير **للماء**، وعن ملازمة **الماء** بصحبة الطّعام، يرد المثل القائل :« الطعام بلا ما، من قلّة الفهامة، فكمال الغذاء لا يتمّ إلا بوجود **الماء**، والما والأعواد، والقوت على الجواد،وكسرتي ومايا، ولا حديث قفايا »[2].

يعتبر أيضا **الماء** مطهّر للشّخص من أخطائه ونجاسته، فهو ضروري لاستعماله، وعدم التّقاعس عن أداء الفروض الدّينية ، بحجة ندرة **الماء**، لأنّ الما بلا شرا ، والقبلة بلا كرا ".

كما نجد أنّ **الماء** يستعمل في مختلف المجالات سواء في الوضوء قبل الصّلاة، أو التّخلص والتّطهر من الجنابة والحيض، وغسل الميت.

إذا كانت الشّعائر الدّينية تتطلّب سلوكات معيّنة، فإنّ للعامّة سلوكاتها وطقوساتها الخاصّة، ومنها استهلال هذه الدّعوة أثناء الصّلاة على شكل خطاب موجه إلى **الماء**:

بسم الله عليك يا الما يالومان

بسم الله عليك يا الما يا غراس العروس

يا عتّاق النفوس يارواح العروس

يالخارج من جنة الفردوس

اليامتنا نتغسلوا بك وليا حبيبنا نتقوتوا بك

احنا بالله وبك

أليا ما بغيتنا احنا نغيناك

1 – عبد القادر خليفي ،الماء وطقوسياته في منطقة القصور،مجلة انسانيات،العدد19–20 ، 2006 ، ص 2.
2 - المرجع نفسه، ص 17.

فهذه المقطوعة توضّح لنا الرّؤية الشّعبية **للماء**، وحدّدت صلاحيات **الماء** في مختلف شؤون النّاس.

طقس القايمة في أرياف مدينة تبسة :

يمكن القول أنّ ظاهرة الممارسة الطّقوسية المرتبطة بفضل الجفاف وطلب الأمطار والبحث عن المياه . ومصادرها في الجزائر قد زالت الى حد كبير، إلّا أنّها لا تزال موجودة في شكل روايات وأساطير، تعتبر جزءا من التراث الثقافي اللّامادي، هذا التراث يشكّل ذاكرة جماعيّة تحمل في طيّاتها قيما ومعتقدات قديمة مرتبطة بالمياه واعتبارها مصدرا للحياة والقداسة [1].

وعقد البحث في موضع المياه والقداسة والممارسات المتناقلة عبر الأجيال، نجد أنّ الشّيوخ وكبار السّن يروون قصصا مثل القايمة وهي إحدى الحكايات التي تعكس المعتقدات القديمة حول المياه وطريقة التّعامل معها. القايمة في الموروث الثقافي التّبسي هي عبارة عن عروس المطر تمثل تيسليت التي ذكرناها أنفا، فعندما يضرب موسم الجفاف بقوة أو تكون الأمطار في غير وقتها، واستبطأها السّكان يرسلون النساء والأطفال في المناطق الرّيفية المأهولة إلى منطقة سهلية وسط الدّوار ترفع فيها عصا السداية (الآلة التّقليدية) التي ينسج بها الجزائريين والصّوف،القشابية والأقمشة المختلفة، وهي عصا طويلة جدّا يتم إيقافها في وسط السّاحة وتوضع محارم الرأس ويتم عمل حلقة من الأطفال الصغار يدعون الله يرددون :

" القايمة يالقايمة لبست الأخضر وربي يعطينا المطر

القايمة يالقايمة وربي يعطينا صابة ودنيا عايمة

القايمة في وسط المراح وربي يعطينا الما وتكثر لفراح "

1 – إبراهيم بن عرفة، جمال معتوق، الماء بين المقدس والطقوس الممارسة،مجلة أنثروبولوجيا، جامعة البليدة 2 ، الجزائر ، ص 18–20.

ويتمّ الاحتفال وإخراج المعروف بين الأهالي، وما إن تتمّ هاته الممارسات الرّمزية الدّالة على التّكافل العضوي إلّا ويسقط المطر في ذلك المساء[1].

6- الماء والّتراث الامازيغي :

- تتمتّع ولاية البويرة بتنوّع طبيعي، يحتوي على العديد من مصادر المياه الطّبيعية التي تلعب دورا مهما في الحياة اليوميّة للسّكان وأصول هذه التّسميات وعلاقاتها بالمواقع، فبعضها يعكس الذّاكرة الجماعية للمنطقة وأخرى لها خلفية تاريخية.

أسماء مصادر المياه الطّبيعية بالبويرة وأصولها :

1) **منبع Tigergert** أو يقال له **تاحمامات (tahammamt)** :

يقع هذا المنبع في منطقة تيكجدة ويبعد عن مقر الولاية بحوالي 32 كم، يصل إليه الزّوار مشيا باتّخاذ مسلك غابي من تيكجدة، " يوجد هذا المنبع قرب قرية مهجورة، هذا المنبع يستفاد منه في علاج الكثير من الأمراض الجلديّة حيث يغتسل المريض بمياهه الغازية " [2].

2) **مومينة (Mumina)** :

ويقال لها أيضا شلالة لالة ميمونة، إذ تتجمّع مياهه مشكلة مسبحا طبيعيا، " ويوجد بها غار صخري، يدخل عبره النّاس، ويقال إنّ الشّخص المريض أو (السّيئ أو الشّرير) تضغط عليه جدران هذا الغار الصخري، ولا يخرج منه إلاّ بصعوبة، وفي بعض الأحيان تمارس طقوسا لإخراجه كالزغاريد وغيرها."

1 – المرجع السّابق ،ص 18–20.

2 - فتيحة بوتمر ، أسماء المصادر في البويرة ، رؤية معجمية ، مجلة انسانيات، العدد 19 ، ص 215–219.

- « أما الشّخص الطّيب السّريرة يدخل عبره ويخرج بشكل عادي ولا يتعرض لأيّ ضغط » [1].

3) ثامدا أنتاولا (Tamda n tawla) :

هي عبارة عن بحيرة شكلت من مياه تغزرت، « ويتردّد النّاس عليها لعلاج الحمّى، فمياهها باردة جدّا تساعد على خفض الحمىّ والشفاء منها، ولهذا سميت ببحيرة الحمّى»[2].

يعرف شريف حماني بحبّه الكبير للفنّ، فهو مولع منذ صغره بالطّرب الشّعبي القبائليي، حيث تأثّر بكبار فنّاني المنطقة من أمثال سليمان عازم والشّيخ الحسناوي، وطالب رابح وغيرهم.

إذ ترك إرثا فنّيا تستلهم منه الأجيال الصاعدة، ومن أبرز أغاني الرّاحل حماني: أثالا وتعني المنبع، والذي نحن في صدد تناوله أغنية اثالا (المنبع)[3]:

بما اذكر منبع المياه	Amek ar a d-bedrey tala ?
تركه النّاس للخلاء	Ğğan-tt- imdanen texla
لما أدركته انتابني الخوف	Mi bwdey ar dina, wehcey
سألته عن أحواله	Steqsay-tt amek tella
تأسّف فأجاب	Tenna-yi-d terfa
لقد غادرني الزّوار	Kfan igad ay idallen…
أيها المنبع، جئت لرؤيتك	A tala, asa usiy-d a kem zurey
كم من وقت لم أزرك	Achal aya yer yurem ur d-şubey
عدت اليوم لرؤيتك	Rziy-d yer yurem a kem
كم من وقت قضيته معك	Dgem achal i laɛbey

1 – المجلة نفسها،ص .

2 – المجلّة نفسها.

3 – شريف حماني ، أثالا أي منبع المياه ، www.spotify.com2010

تذكرت اليوم أيام شبابي Temzi-w asa a-tt-id fekrey

فماذا فعلت بي الأيام I kem? amek im gan wusan?

« أغنية أثالا أي منبع المياه، تحمل طابعا شعريّا عميقا، يعبّر فيه عن المشاعر الإنسانية والحنين إلى الأصول والجذور، فهذا العنوان يرمز إلى دلالات مختلفة منها الحنين إلى الأصول أي الحنين إلى الوطن أو الماضي، كما يشير إلى الطّهارة والنّقاء، والى العطش الرّوحي مثل الحبّ أو الإيمان أو السّلام الداخلي، إضافة إلى الاستمرارية والحياة من خلال التّطلع إلى المستقبل مع التمسك بالماضي»[1].

فشريف حماني معروف بأغانيه العميقة التي تلامس القلب ويشير التّأمل.

وقد عرف الشّاعر الأمازيغي أيت منقلات[2] باهتمامه للتّراث الأمازيغي، فهو من أبرز الشّعراء الّذين تركوا بصمة كبيرة في المشهد الثقافي الجزائريّ، والتّي تعدّت كلّ الحدود العرقية والقّارية والعقائدية.

فشعر لونيس آيت منقلات ليس مجرد تعبير عن ثقافة محلية، بل هو تعبير عن رؤية فلسفية عميقة، تتناول الوجود الإنساني في أبعاده الكونية، فقد امتازت أعماله الشّعرية بالتّنوع، إذ تتنوّع في مواضيعه : من قصائد غزلية، سياسية، فلسفية تأمّلية، وقصائد اجتماعية، ممّا أثرى السّاحة الفنّية، وترك بصمة عميقة في وجدان الشّعراء والأدباء حيث تأثّروا بروح شعره الثّائرة وحكمته الكونية، ممّا دفعهم إلى ترجمة أعماله إلى لغات مختلفة، وأصبح صوتا إنسانيّا يتردّد في كل مكان.

1- شريف حماني ، أثالا أي منبع المياه ، www.spotify.com2010

2- أنظر، أمحمد جلاوي ، الدّيوان الشّعري للونيس آيت منقلات (ترجمة الإشعار من اللغة الامازيغية إلى اللغة العربية) ، ص 263.

ولعلّ من بين الطرق التي انتهجها الشّاعر في عمليته الإبداعية المنتجة لمثل هذا النّوع من القصائد الموغلة في الغموض إلى تشكيل البنية الفنّية للنّصّ الشّعري، على ما يمكن تسميته بالرّمز الموضوعي، وهذا ما نراه من خلال بعض الأبيات الشّعرية التي تتناول فيها **الماء** بدلالات مختلفة ومنها في قصيدته :

إذا بكيت :

قال الشّاعر أيت منقلات :

أشبه جالب **الماء** بالغربال	Am win yugmen s uyerbal
يملأ من غير امتلاء	Yetteemmir wer d-ittawi

يحمل هذا البيت حالة من العجز والكسل في تحقيق الأهداف، أو حالة من اليأس أو الحزن، حيث تكون الدّموع مثل **الماء** الذي لا يمكن احتجازه.

وقال أيضا في مخض الماء :

يا من أنتم بلا شغل	A wid yestufan
ويا مخض الماء	Ssenduyet aman
تريدون التّين	I yebɣan lexrif
في غير فصله	Tas mebɣir lawan
امخضوا الماء	Ssenduyet aman

توحي هذه الأبيات إلى أنّ الحياة ، تستدعي الصّبر والتّخطيط المحكم، والجري وراء تحقيق الأهداف، يجب أن تكون في وقته المناسب، والتّفكير العميق وبشكل فعّال من أجل تحقيق الأهداف.

تظهر رمزية **الماء** كعنصر رئيسي، يحمل دلالات مختلفة وعميقة، **فالماء** هنا ليس مجرّد مادّة سائلة، بل هو رمز للجهد الإنساني والحياة نفسها، فمخض **الماء** لا يجدي نفعا، فالجهود البشرية قد تكون عبثية إذا لم تكن مدروسة بدقّة وفي الوقت المناسب.

الفصل الثّاني: الماء والعتبات النّصّيّة

مبحث (1) : الماء والعنونة الرّئيسة

مبحث (2) : الماء والعنونة الفرعية

مبحث (3) : الماء النّص الشّعري

المبحث الأوّل : الماء والعنونة الرّئيسة

1- الماء والعنونة الفرعية :

يشكّل العنوان في العمل الإبداعي نسيجا متماسكا مع النّص، إذ لا يمكن إهماله أو الاستغناء عنه، لذلك أولته الدّراسات الحديثة أهمية بالغة، لأنه يعتبر: «مفتاحا أساسيّا يتسلّح به المحلّل للولوج إلى أغوار النّص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها»[1] ، وهو« نظام سميائي ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبّع دلالاته ومحاولة فك شفراته الرّامزة في النّص الأدبي... وهو أول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائي قصد استقرائها بصريا لسانيا أفقيا وعموديا» [2]، ونظرا لأهمّية العنوان في عملية التّأويل التي يقوم بها المتلقي أولاه الباحثون أهميّة بالغة، فكان جيرار جنيت Girald Genette من الأوائل اللّذين اهتموا بالعتبات وذلك في كتابه « النقدي عتبات Seuils» عام 1987 أين سماه بالنّص الموازي أو النّص المصاحب Paratexte، أو هو :« ما يصنع به النّص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه وعلى الجمهور عموما أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي وعتبات بصرية ولغوية» [3].

والعنوان واحد من بين هذه العتبات بما فيها الرّئيس والفرعي الذي يشمل العناوين الدّاخلية، فهو بهذا رأس النّص الذي يمثّل جزءا أساسا منه وضرورة ملحّة لاكتمال معماريته وعلى هذا الأساس أولاه المبدعون أهمية بالغة وتفنّنوا في إخراجه ورسمه وتلوينه ليلعب بذلك دوره الإشهاري في جذب اهتمام القارئ واستثارة الرغبة فيه للولوج إلى عالم النّص الإبداعي والتلذذ به، ولأنّ العنوان هو آخر ما يكتب من العمل الإبداعي نستطيع القول بأنه يتمخّض في رحم القصيدة ويولد منها

1 – جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر،المجلد 38 ، العدد 02، 2010 ، ص 106 .
2 – بسام قطوس ، سيمياء العنوان ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، ط 1، 2008 ، ص 34.
3 – محمد نيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته،ط2، الدار البيضاء،دار توبقال للنشر، 2001 ،ص 188.

حاملا لعدّة وظائف مساعدة لإنتاج الدّلالة منها الوظيفة الإغرائية ، باعتباره أوّل ما يصطدم به القارئ وأول علامة للنّص ودال إشاري يحيل إلى هدف النّص ومقصدية الشّاعر.

انطلاقا من هذا المفهوم جاءت دراستنا للعنونة في نماذج من الشعر الجزائري المعاصر فترة الثمانينيات حيث شملت هذه الدواوين، عناوين رئيسة وفرعية شكلت تيمة الماء، وما يدخل في مجالها القاموس والدّلالي باعتباره رمزا شعريا طبيعيا غنيا بسيماته المتعدّدة والمتنوعة لتطغى موضوعة **الماء**، وتسيطر على العناوين، وتلقي بظلالها على النّصوص بدلالات مختلفة وسياقات متعدّدة فتأسّر القارئ منذ القراءة الأولى، وتلقي في نفسه شغفا لمعرفة ما لقدرة هذا الماء على بثّ الحياة، أو أن يكون سببا في الموت والفناء.

« **فالماء** ومفاعيله وتجلّياته ومساريه ومجاريه، وتجمّعاته كلّها تشكّل مصدر بهجة الشّعراء ومصدر إلهامهم في كثير من موضوعات شعرهم، وصوره ورموزه ولغته ونسيجه الفنّي بصورة عامّة وذلك في مختلف العصور الأدبية، وفي مختلف أماكن وجودهم وحلهم وترحالهم سيّان، كان **الماء** شحّيحا نادرا أم غزيرا دافقا، **فالماء** في كلتا الحالتين يبقى هو المغذّي لدينامية خيالهم والملهب لأذهانهم وعواطفهم وتجاربهم الفنّية والوجدانية»[1]. لذلك بالغ الشّعراء الجزائريون فترة الثّمانينيات في توظيف **الماء** والاهتمام به باعتباره عنصرا طبيعيا ومصدرا هامّا للحياة والطّبيعة، يحمل مدلولات فنّية مختلفة الأبعاد والرّؤى فجعلوا منه في أعمالهم رمزا مهمّا كان التّيمة البارزة في أشعارهم فأصبحت قصائدهم غنيّة بعنصر **الماء** بصفاته المتعدّدة بحارا وأنهارا وشلاّلات وأمطار وفيضانات، فارتبط بذلك الماء بدلالات غنيّة ليكون مصدر البعث والهناء تارة وسبب الدّمار والخراب ومقبرة لأسرار تارة أخرى . « فأيّ شيء أكثر عمقا وأكثر سرّية من قطرة الماء»[2].

1 – أحمد بلحاج أية ، الشعرية كتمركز في ميتافيزيقيا الماء، الدار البيضاء ، دار الناية ، 2010، ص45.

2 – غاستون بشلار،الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادة،ترجمة جورج سعد، بيروت،دار دمشق،1990،ص 258.

كل هذا التّأثير وجدناه جليّا واضحا في الدّواوين التي ستصنّف في جدول لاحق سواء على مستوى العتبات النّصية، العنونة تحديدا أو على مستوى النّصوص التي اتّخذ أصحابها من **الماء** معينا لتحقيق طموحاتهم على أرض الحلم.

لقد جاء الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر مكثّفا ب: عنصر **الماء**

فشكّل تيمة بارزة على مستوى العتبات نلمسها عند قراءتنا للدواوين، سواء كان ذلك على مستوى العناوين الرّئيسة أو العناوين الدّاخلية ويمكننا توضيح حضور تيمة الماء في العناوين التّالية:

الشّاعر	العنوان الرئيسي	العناوين الداخلية	الصفحات
عبد الحميد شكّيل	لا أجراس في قدم النهر	خيبات الماء	35
	البحر الذي رأيته في المنام	بحر	13
		فيض	17
		البحر	27
		عزف البحر	49
		وادي الزهور	117
	عطش الأنهار	لا نوراس في بحر سيبوس	15
		صمت البحر	51
		كنّا نحبّ المطر	54
		حصار الماء	60
	طائر الينابيع	مراكب الزّرقة	34
		غيمة ماء !!	74
	الرّكض باتجاه البحر	حوار الأعشاب البرّية	61
		توقيعات باليد اليسرى على وجه الماء	66

	تحوّلات فاجعة الماء	مياه الكلام !!	14
		جثث الماء	27
		مطر الضاحية	41
		سلالة الماء !!	47
		فنون الماء !!	60
		تحوّلات فاجعة الماء	72
		خيبات الماء	79
		فراشات الماء	89
		وردة البحر عذرا	97
		مرثية الماء والقرنفل	111
		صهيل الماء والكلمات !!	117
	مراودات النّهر	مساقط الماء	107
	عاليا لوّح..ليراك البحر	تغريدات	95،91،90
(3) لطيفة حساني	وشاية الماء	وشاية الماء	13
		سيرة الماء	69
(محمد الأمين سعدي)	ماء لهذا القلق الرملي	عودة الماء	13
		احتمالات الماء	71
هيثم سعد زيان	عندما يذبل الماء	حينما يذبل الماء	41
		العبير المالح	35
وسيلة بوسيس	أربعون وسيلة وغاية واحدة	قصائد مبرعة	7
		ومنا ألوف	26
عاشور فني	أخيرا أحدّثكم عن سماواته	سماء أولى	25،20
		س (ماء)	29
	رجل من غبار	رجل من غبار	67
مصطفى دحية	بلاغات الماء	استهلالات آية الماء 1	21
		استهلالات آية الماء 2	37
خالدية جاب الله	للحزن ملائكة تحرسه	نورس يأتي قبل الإبحار بقليل	21

خليل عبّاس	**ما تسرّب من مدائن الضّوء**	**ما تسرّب من مدائن الضّوء عابرا إلى ضفّة الدهشة**	**7 60**
مسلم ربواح	**يكاد دمّه يضيء**	**منديل لدمعة خضراء نصوص على وقع المطر**	**48 62**
	قبضات من أثره	**كأنّه الماء**	**10**
	عاشق في أوّل الخطوات	**المرأة الفراشة والفتى النّهر**	**27**
	على شهوة الايقاع	**صلاة الماء البكاء بلا مطر**	**74 86**

جاء ديوان عبد الحميد شكيّل الموسوم ب : " **لا أجراس في قدم النهر**" مشتملا على مفردة **الماء**، وقد شغل مساحة واسعة من غلاف الدّيوان وهو تركيب اسمي، أسلوبه خبري منفي تميز بالطّول، تحكم بين مفرداته بؤر دلالية مختلفة، لا، أجراس، في، قدم، النهر.

لقد شكّلت هذه البؤر الدّلالية خطابا ذا معنى محيّر يصعب القبض عليه، ممّا يجعل القارئ في ذهول، فكلمة الأجراس تمثل الصّوت المؤذّن بالبداية أو الانتهاء غائب في حضرة النّهر، فقد صرّح الشّاعر بذلك نافيا وجوده ومؤكّدا غيابه في القدم الذي يمثل عضو التّنقل والحركة لينقل إلينا بذلك حالة من السّكون المخيّم على النّهر الّذي يعادل في مفهومه مكان به **ماء** بكلّ أصواته وقت الهدوء والغضب، « فلا صوت ولا حركة **للماء** في النّهر، إنّه يعلن حالة من الجفاف والغياب حالة من السّكون والخواء، إنه إنذار بفاجعة **الماء** الذي فقد صوته وغاب غيابا يشبه جفاف وغياب المبادئ في زمن توّاق **للماء** الذي به يحيا الجسد البشري، كما تحيا النّفس بالمبادئ في أبعادها

الاجتماعية والإنسانية، هذا ما أضمره العنوان وراء أنظمته الدّلالية التي تحمل في طيّاتها قيما أخلاقية واجتماعية وايديولوجيبة » [1] .

وبهذا أعلن العنوان غياب المبادئ في زمن الخواء وتدنيس القيم الإنسانية،حيث حمل عدة تأويلات ودلالات إنه الأثر المفتوح ، « الذي أسس له أمبيرتو ايكو، حيث يرى أن الأثر الفنّي هو موضوع جمال قابل للتأويل»[2]، عبّر الشّاعر عبد الحميد شكيل عن تعطّشه للتّغيير ورغبته في هدم المدنّس وبناء المقدّس في ديوانه: **(البحر الذي رأيت في المنام)**، فقد حمل العنوان صورة فضاء مكاني لا محدود من **الماء**، إنه البحر الذي لم تحدّد صفة **الماء**، فيه أهو هادئ أم مضطرب هائج، حيث اكتفى فقط بالتصريح أنه هو البحر الذي رآه في المنام.

فهو يكشف عن موصوف ويضمر صفته، وهذا ما يفتح من مخيال القارئ، منطلقا من مركّب اسمي صرّح فيه بالخبر وأضمر فيه المبتدأ الذي تكون رحلة البحث عنه بداية المغامرة في عالم مائي لا نهائي لا زمان ولا مكان يحكمه، إنه البحر ذلك العالم المقدس الذي طالما سعى الشاعر إلى تحقيقه في اليقظة على أرض الواقع، هو البحر بموجه بمدّه وجزره، حاوي الماء منقذ البشر محقق الخصب والنّماء كائن متحرك.

متغير حامل الموت من أجل الحياة والفرح من جديد، هو مكان عناق بين ما جرى وما سيكون يغرق فيه الحاضر لنصطاد مستقبلا مشرقا تزهر فيه الأحلام. وأخيرا أعلن الشاعر في عنوان " **البحر الذي رأيت في المنام** " عن تحقق رؤيته الجديدة للحياة في عالم حلمي مؤقت.

يضيء عنوان الدّيوان العناوين الفرعية التّالية: بحر، البحر، عزف البحر، حيث تلاحظ هيمنة مفردة البحر التي تعدّ من أبرز مفردات **الماء** التي ثبتت مقصدية الشاعر، فجاءت مرافقة

1 – محمد جميل النعيمي،العنوان في الشعر الاطرقجي،دراسة تحليلية، دار الخليج، 2019، نقلا عن جميل حمداوي،السيميوطيقة والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، مج 25 ، ع 3 ، الكويت ، 1997 ، ص 99.

2 – أومبيرتو ايكو، الأثر المفتوح، ترجمة عين الرحمن بوعلي،دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط2 ، 2001 ،ص 8.

للعنوان الرّئيس حيث أثرته وتعالقت معه دلاليا فحملت العناوين الفرعية: **بحر، البحر، عزف البحر،** صورة **الماء** في وفرته ولا محدوديته، وسعة مكان تواجده، وأكدت أنّ البحر حاوي **الماء** في عظمته وهيبته، يعكس قدرة وهيبة الذّات الإنسانية وإلحاحها على تأسيس الجمال الذي يتطلّب الخصوبة المستمرة فهو« من أكبر مقومي الفكر البشري»[1] الذي يزهر عند رؤيته أو ملامسته للماء، وبهذا يكون العنوان الرئيس « مرجعا يتضمن بداخله العلامة والرّمز وتكثيف المعنى بحيث يحاول المؤلّف أن يثبت فيه قصده برمّته أي أنه النّواة المتحرّكة التي خاط المؤلّف عليها نسيج النص»[2]، فتسرّبت لفظة البحر إلى ثنايا الدّيوان " تجرّ أذيالها عبر عدد من العناوين الفرعية ليكون البحر بصموده وأصواته وارتداداته يعلّم البشر إرادة التغيير من خلال إثارته نفسية الرفض حينا و الخضوع حينا أخر حتما كما هي حال البحر في الطّبيعة هادئ حينا وهائج حينا آخر ليتلاحم هدوءه وصخبه فينتجان عزفا عذبا لترنيمة الحياة ذاك هو عالم الحلم اللانهائي عالم أكثر خصوبة ونقاء. « يكون الشّاعر محمد الأمين سعيدي قد قطع شوطا هامًّا من مسافة التابة لشّعرية من خلال تجاوزه للعديد من الحواجز الفنّية والفكرية المرتبطة بجرأة الشّاعر على الجهر بخصوصيته الإبداعية والتّرويج لها بنزع من الثّقة الزّائدة في إمكانية التّصدّي للعالم والانتصار عليه بقصيدة واحدة لا أكثر ولا أقلّ»[3].

حضر **الماء** بكثافة في ديوان **ماء لهذا القلق الرملي لمحمد الأمين سعيدي،** حيث ورد على شكل جملة اسمية خالية من الأفعال مفتوحة على كلّ الأزمنة والأمكنة، فجاءت لفظة **الماء** في

1 – جميل حمداوي ، السيميوطيقة والعنونة ، مجلة عالم الفكر، م ج 25، ع.3 ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، 1997 ، ص 109.

2 – غاستوف باشلار ،الماء والأحلام ، دراسة الخيال والماء ، ترجمة جورج سعد ، بيروت ، دار دمشق، 1990، ص 31 .

3 – عبد القادر رابحي، تحوّلات الشّعرية الجزائرية المعاصرة ، النّص، الشّكل ، السّياق،دار أجيال الرّقمي، ط1، الجزائر، 2024، ص 219.

بداية التّركيب ،فكانت علاجا لمرض القلق والجفاف الذي أصاب الرّمل وهو يمثل عنصر التّراب الذي يدلّ على العذاب المرير غير المحتمل، فالرّمل فاقد لعنصر الماء ولم يصبح طينا يعكس لا محالة حالة الاضطراب الذي تتذوّقه الذّات الشّاعرة في فضاء يسيطر عليه العطش والجفاف وهنا تظهر المفارقة الصّارخة بين العطاء والمنع، وفي هذا دلالة على عالم الشّعر الذي أصابه انهيار في فضاء يهيمن عليه الاضطراب والذي رمز له بالقلق، فجمع العنوان هنا بين نسقين متضادّين أحدهما معلن والآخر مضمر، فنتج عن غياب **الماء** وراء الملفوظ عنه" **القلق** " وهذا ما شرحه عبد الله الغذامي حيث « يرى أنّ الخطاب ينطوي على بعدين حاضر في الفعل اللّغوي يتجلى عبر جماليته ومضمر يتخفّى متحكما بالعلاقة بين منتج الخطاب والأفعال التّعبيرية التي تكوّن عناصر ذلك الخطاب» [1] ، وبهذا نتوصّل إلى أنّ العنوان الرّئيس " **ماء لهذا القلق الرملي** " يحيل على إغاثة **الماء** للذّات الشّاعرة القلقة، المتغرّبة في وطنها الفاقدة **للماء** والذي يعكس الشّعر والإلهام الذي ينساب من الذّات المبدعة، فيحدث خلقا فنّياً ، كما ينساب **الماء** في ثنايا الرمل أو التراب فيصبح طينا خصبا،ليحقق الحياة التي انعدمت في الرمل القلق الذي يعكس حالة التيه والحيرة، فالشاعر لم يوظّف **الماء** على أنّه عنصر من عناصر الطّبيعة فحسب بل اعتبره قوّة ليطفئ بها نار المدنّس، ويحيى به روح الشّعر الذي يعكس الذّات الإنسانية في جميع حالاتها ماحيا زيف الحياة وبوهيمية السّلوك وسوقية الوعي.

يستمرّ **الماء** في غيابه عبر محتوى الدّيوان، متجلّيا في العناوين الفرعية التالية : **عودة لماء وترنيمة العطش الجنوبي** ،حيث تشترك هذه العناوين في حالة الجفاف الذي يقابل معاناة المعدمين المهمّشين وبشرى حضوره الذي يمثّل عودة المخلّص، المنقذ، إنّها قطرة **الماء** التي تعكس

1 -عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية ،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، 2006، ص 45.

ماء الشعر الذي فقده الوجود، وفقد معناه ،**فالماء** هو بحر الشّعر الصّافي العذب النّابع من جوهر النّفس الإنسانية معبّرا عن حالات العالم الخارجي ومعاناته خلال غياب **الماء**، فجاء من خلال العنوان "**ماء لهذا القلق الرّملي**" بحل لوقف الجفاف السّائد، وحالة الغياب حين ظهر ذلك جليّا في عنوان: " **عودة الماء وعنوان ترنيمة العطش الجنوبي** ،اللّذان أظهرا لنا عتمة الزّمن وجبروته وانكسار الحلم قبل عودة **الماء** الذي غرّد بمجيئه عزف زهو الأيّام ومسح ملاحم الخذلان عن الذّات البشرية والوجود، فجعلها ترقص فرحا على ترنيمة عذبة ثرارة ليخرج معاناة الإنسان من العتمة إلى النّور.

كتب عنوان ديوان : "**عندما يذبل الماء لهيثم سعد زيان** " بخط عريض نوعا ما، بلون أزرق غامق يدل على الاكتئاب والتّعب واليأس، وكذا المصير المجهول والبحث عن الوطن، أما اللّون الأزرق الفاتح الذي يحوم حول العنوان فقد عكس لون السّماء الدّالة على الهدوء النّفسي والتّأمل الرّوحي، فهو فضاء مصدر **الماء** في الطّبيعة، يشعر فيه المنتمى إليه بالهدوء والاطمئنان، وقد تميّز هذا العنوان بالغموض والمراوغة والتّمويه فهو " يحتلّ كعلامة دالة نوعا من الالتباس كونه أوّل عبارة تشير إلى النّص وتسمّيه وتقدّمه للقارئ كمنتوج قابل للتّداول والاستهلاك"[1] ، وهذا ما يجعله مفتوحا على تعدد القراءات والتّأويلات.

افتتح العنوان بظرف الزّمان " **عندما**" التي حملت دلالة وقت ذبول **الماء** الذي يحتاج وقتا ونتيجة ذبوله، تحتاج وقتا كذلك فالقارئ لا يعرف ما الذي سيحدث عندما يذبل **الماء**، ممّا أدى إلى انبثاق حالة موحشة نتيجة تدهور حالة **الماء** وهي حالة من اليأس وفقدان الأمل ولفظة الذّبول تعكس حالة من القنوط والموت، والتّيه واليأس وهو النّسق المضمر خلف لفظ ذبول **الماء** المعلن عنه في نصّ العنوان، فقد أفضى غياب **الماء** وحشة وجفافا لفظيا ومعنويا، وهناك تظهر المفارقة المجاورة (الضّدية) من خلال حالة التّناقض بين الحقيقة المطلقة وبين ما هو مصّرح به، فكيف **للماء** أن يذبل وهو سبب الحياة والجمال؟.

كما انتشرت دلالات **الماء** ومشتقّاته عبر العناوين الفرعية للنّصوص بشكل لافت وهذا ما نلاحظه من عنوان " **العبير المالح**" وعنوان " **حينما يذبل الماء**" ممّا أدى إلى قيام علاقة بين العنوان الرّئيس والعناوين الفرعية التي حملت دلالات جزئية، وردت مجملة في العنوان الرّئيسي ، وهذا ما يفصح عن وجود علاقة تكاملية مشتركة في الدلالات الوظيفية لعنصر **الماء**، وعلاقات

1 – الطاهر روارينية ، التشاكل والتوالد في رواية حارس الضل لواسيني الأعرج ، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، ع 7، 2008، ص 112.

مشتركة كعلاقة غياب **الماء** ويظهر ذلك أكثر عبر عنوان " **العبير المالح**" . الحامل لاستغاثة انعدام الماء وملوحته دليل على نقص الصّفاء، وانعدام ذوق الحياة فانتشرت من خلاله حالة من العطش والجفاف العاطفي عند الشّاعر وهو يعيش غربة حقيقية خارج وطنه وكأنّه يريد البوح أن **ماء** وطني حلو و**ماء** الأخر مالح أجّاج، وهنا انبثقت حالة من التيه واليأس من العنوان الرّئيس لنتوغّل عبر العناوين الفرعية ، وتدخل إلى ثنايا النّصوص، فيبحث الشّاعر عن انتمائه التّائه في مكان لا يمثله لا زمانا ولا مكانا، أمّا العنوان الفرعي الثّاني " **حينما يذبل الماء** " ، فيظهر تعالق كبير بينه وبين العنوان الرّئيس ، بحيث يكاد يكون نفسه لو لم يستبدل الشاعر "الظرف " عندما " بحينها" الدال على الزمن والوقت.

تأكيدا واهتماما بلحظة الشّوق والحنين في وقتها فتكون مؤلمة قوية على النّفس عكس مرور مدّة زمنيّة حينئذ ينقص ويفتر لهيبها النّاتج عن حالة العطش والجفاف الذي ستحدث عند وحين ذبول **الماء** الحامل لدلالة الغياب.

فالماء رمز الأرض والانتماء والأصل فأعلن العنوان الفرعي رفضا واضحا للغربة اشتراكا مع العنوان الرّئيس وبهذا نقول أنّ : « العناوين الدّاخلية هي عناوين واصفة شارحة لعنوانها الرّئيس كبنية عميقة، فهي أجوبة مؤجّلة لسؤال كينونة العنوان الرّئيس لتتحقّق بذلك العلاقة التّواصلية بين العناوين الدّاخلية والعنوان الرّئيس» [1]، وهي بذلك عنصر مساعد على قراءة مضمون الدّيوان ومقصدياته المتعدّدة المضمرة لعنصر **الماء**، سواء كان ذلك في العنوان الرّئيس أو في العناوين الفرعية.

يستخدم الشّاعر **الماء** للدّلالة على معاني ثريّة، تخدم مقصدية الشّاعر من ورائه.

1 – عبد الحق بلعابد ، عتبات جيرار جينيت،من النص الى المناص،الجزائر،الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 ، 2008 ، ص 127.

ويظهر ذلك جليّا في عنوان "**وشاية الماء** " الذي انزاحت لغته عن المألوف إلى مستوى أعلى وهو المستوى الإبداعي والتّخييلي ممّا جعل منه عتبة مضيئة لمحتوى الدّيوان، فاقتصر في التّركيب الاسمي " **وشاية الماء**" ، فالوشاية هي نقل الخبر بطريقة سرّية، وإذا تأملنا العنوان " **وشاية الماء**" نجده يوحي بتقمص **الماء** لشخصية الواشي، وهنا يخرج **الماء** من دلالته كعنصر من عناصر الطّبيعة ليصبح كائنا عاقلا يعي ما يقول، وفي قوله فضح للطّابوهات وكشف للمستور المخبوء وراء ما يسمّى حقيقة، وبهذا اختزل العنوان قدرة دلالية، وتحوّل إيحائي عمّا هو متعارف عليه، فالوشاية المعلن عنها في العنوان هي كشف لكلّ ما هو مدنّس لتخريبه وتجاوزه وإعادة بنائه من جديد، وبهذا يكون المقصود **بالماء** الوارد في العنوان هو الشّعر العبقري الذي له القدرة على كشف الهامش والإعلان عنه ليتحوّل ما كان ميّتا إلى عنصر حيّ فاعل وتتحوّل الهزيمة إلى انتصار بفضل وشاية **الماء** التي فضحت معاناة الحسّ الإنساني التي كانت تخفي خلفها حقيقة مفجعة **والماء** بكونه عنصرا مهمّا للتّطهير، جاء وأبان كل تلك الأسرار وأخرجها إلى العلن.

فكما يصدر **الماء** في الحقيقة أصواتا دالّة على ضعفه وقوته كزخّات المطر وزجير الموج ، فتشعرك هذه الأصوات بالرّاحة حينا وبالخوف حينا آخر، كذلك بفضح الشّعر على اختلاف قائليه المأساة الاجتماعية والسّياسية للبشرية، قصد تطهيرها ومن ثم خلاصها ومداواة جراحها.

اختار الشّاعر العنوان الفرعي "**وشاية الماء** " ليشترك مع عنوان الدّيوان وهذا الاختيار بالذّات يحمل دلالة الإصرار والاستمرارية على نقل نفس الدّلالة إلى ثنايا الديوان، **فالماء** هو ناقل الخير لإنقاذ الغير فهو البطل المنقذ والمخلّص بلغ مستوى لم يبلغه عنصر من عناصر الطّبيعة ، فهو مرمّم الحسّ الإنساني من القهر والقلق والمعاناة وهذا يظهر جليّا من خلال العنوان الفرعي "**سيرة الماء** "، سيرة الاخضرار والجمال وكشف للحقيقة وفضح لما يسميه البعض أسرارا وطابوهات.

2- الماء والرّمز :

اهتمّ الشّعراء الجزائريّون المعاصرون فترة الثمانينيات **بالماء**، ووظفوه في متونهم الشّعرية كرمز خلاّق لعوالم جديدة، ودلالات ثريّة، تخطى من خلالها **الماء** رمزيّته المباشرة.

ممّا جعل القصيدة الجزائرية فترة الثمانينيات مكثّفة غامضة، متعددّة الدّلالات والإيحاءات، ولقد لجأ إليه الشّعراء لأنّهم وجدوا فيه وسيلة مالكة لطاقات خلاّقة لا محدودة، ينطلق من عالم الواقع ليصل إلى عالم الوعي الحامل لدلالات تفضح واقع المتلقّي وتكشف له حقائق غالبا ما تكون صادمة، فحلّق بعد ذلك الشّعراء الجزائريين بالشّعر الجزائري في فضاء العالميّة كون توظيفهم لرمز **الماء** كتقنية مناسبة لفضح المخبوء لأنّه « اللّغة التي تبتدىء حين تنتهي لغة القصيدة أو هي القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة ، إنّه البرق الذّي يتيح للوعي أن يستشفّ علما لا حدود له»[1]، لذلك هو إضاءة للوجود المفعم واندفاع صوب الجوهر وهروب من المباشرة والوضوح لأنّ « في الوضوح ملل وفي الإشارة معجزة تعبيريّة دونها الألفاظ المفسّرة والإشارة ظلّ لا يفسّر ولا يجلى، وإنّما يكتفي بالإيحاء وفي الإيحاء رحابة وانطلاق يدفعان بك إلى الغموض البعيد المقصود إلى المعنى وضلّه»[2]. كما يخلق الرمز علاقات جوهرية بين الإنسان والأشياء « فحينما تمتزج الذّات بالموضوع يشرف الرّمز الّذي يمثّل علاقة الإنسان بالشيء وعلاقة الفنّان بالطبيعة ويحقق الانسجام العميق بين قوانين الوجدان وقوانين الطبيعة »[3].

وبهذا بات الرّمز ظاهرة بارزة في الشّعر الجزائري المعاصر، وبالتّحديد رمز **الماء** الّذي اتّكأ عليه الشّعراء في هذه الفترة، لما يحمله من إيماءات وإيحاءات عميقة ومؤثّرة في الذّات الإنسانية.

---

1 -أدونيس زمن الشّعر، بيروت، دار العودة ، دط، 1972، ص 160.

2 -محمد ناصر ، الشّعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنّية، 1925-1975، مجلّد 1، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنّشر والتوزيع ، المحمدية ، الجزائر ، 2013، ص 549-550.

3 - أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف . القاهرة،ط2، 1982 ، ص 39.

تتجدّد رمزية **الماء** كعلامة طبيعية مسبّبة للحياة وسبب للموت والفناء، ويظهر ذلك أكثر في ديوان " **ماء لهذا القلق الرّملي**"، وبالذّات في قصيدة "**احتمالات الماء**" ، « فقد ورد رمز الماء غنيّا بمدلولاته وإشاراته التي يحيل إليها، فهو أرض وسماء ، زرع وقرية ووطن، وثورة وحلم وجنّة وتاريخ وحاضر ومستقبل، وهو أيضا الإنسان والله ، الشيطان، الموت والحياة»[1].

كما تبدو في هذه المقاطع العلاقة وطيدة وقديمة بين الشّاعر و**الماء** أقدم من سفر التّكوين والالتحام بينهما واضح جليّ، يزيل كلّ ملامح الجراح ويفجّرها، فالشّاعر يؤكّد أنّ **الماء** مازجته الرّوح حدّ الفناء، أين يظهر الماء حاملا لكلّ مآسي وآلام الذّات الإنسانية، و**الماء** هنا رمز دالّ على الحزن، فهو مصدر للإشارات السّلبية، وكأنّ الذّات الشّاعرة (الإنسانية) تحتضر في خضرته وتنكسر رغم تدفّقه وتلفظ آخر أنفاسها غرقا في البلايا والمآسي.

وهنا تظهر مفارقة رمز **الماء** بين الدّلالة الأولى المباشرة الحاملة لمعنى الخصب والنّماء والحياة والدّلالة غير المباشرة، الحاملة لكلّ ما هو مدنّس، فهو بهذا **الماء** العكر رمز المعاناة والشّقاء، وبهذا نستطيع أن نقول أنّ القصيدة تأمّليّة ، يقوم فيها **الماء** فيها على روح المفارقة والتّناقض بين السّعادة الحقيقيّة والسّعادة المتخيّلة وهذا ما أشار إليه الشّاعر في ثنايا هذه القصيدة، إذ وظّف الماء على أنّه موت وشقاء وخوف بعد ما كان آمانا وسعادة وحياة يقول في قصيدته :

لمـاء لا يحـنّ سـوى لمـاء

وينســى أنّـــه نَزْفُ السّمـاء

لمـاء مازَجَتْـهُ الـرُّوحُ حتَّـى

تبـدّى لابِسـا جسـد الفنـاء

1 – كمال فرحات صالح، الشّعر والدّين، فاعلية الرّمز الدّيني المقدّس في الشّعر العربي، ص 371.

لمـاء لا يـرى في الطّيــن نــورا

ويعـزف أنّ جمــريَ مِنْ ضِيَـاءِ

لمـاء لم يـذق طعـم البـوادي

ولم يعـرف ظهـورا كالخفـاء

فتحــتُ ثغــورَ قلبــي للبلايـــا

لأفـني داخلـــي داءً بـداء

وأمــزج في دمــي مـاء المـآســي

بمـاء الخـــوف أو ماءِ الرّجـاءِ

كأنّي مـا خُلقـتُ سـوى لمـاءٍ

يفجّـر نهـر حزنـي اللانهائــي

وأنّـــي مـا لبسـت الجـرح إلاّ

لتُغْرِقَنــي دمـــوع الأَشْقـيَاءِ

وبهذا نما الرّمز وتطوّر إلى أن وصل « قمّة التّعارض بين الموت والحياة» [1].

فيعكس المعنى المباشر صورة الحياة، أمّا المعنى الخفيّ « فينطبع بصورة الموت، وبذلك يكون تتابع الصّور الشّعرية المتضادّة هو الموازاة الرّمزية والتّشكيل الجمالي لموقف الشّاعر الحائر

1 – نسيمة بوصلاح، تجلي الرّمز في الشعر الجزائري المعاصر، شعراء رابطة، وزارة الثّقافة، 2004، ص110.

المتردّد والمضطرب» [1]. بينما هو كائن وما يجب أن يكون بينما يطمح إليه وما يفرضه عليه الواقع.

وفي قصيدة **عودة الماء** استغلّ الشّاعر هذا الرّمز الطّبيعي الخلّاق معادلا للإبداع الفنّي ورسم تجارب الحياة اعتمادا على تفاصيل الحروف وبلاغة الكلمات، منفصلا من خلاله عن العالم الواقعي متّصلا بعالم الإبداع والإلهام.

يقول الشّاعر :

داخلي الماء يجري

وتجري القصائد في داخلي

أيّها الورد

خمر دمّي

والحروف الّتي تحتويني كؤوس

كم سقيتك

كم نادمتك المواجع في روضة القلب

والآن تتركني تائها

في ربوع البكاء أجوس

فالماء الذّي يسري داخل روحه ما هو إلا ماء الشّعر والإبداع النّابع من مواجع القلب والطّاقة الرّوحية تغذيه وتصقله، لقد خرج الماء في هذا النّصّ من صورته كعنصر طبيعي وأضحى رمزا

1 – عبد الحميد هيمنة ، البنايات الأسلوبية في الشّعر الجزائري المعاصر، شعر الشّباب نموذجا ، دار هومة، ط1، الجزائر ، 1998 ، ص 26.

لعالم الإبداع والفنّ، فكما يسقي **الماء** الأرض، يسقي الشّعر الرّوح، ويحرّرها من الضّياع، ويحميها من الموت، ويرسم معالمها بمختلف أبعادها الفكرية والجمالية.

الماء و الرّمز :

يعتبر ديوان : " **البحر الّذي رأيت في المنام** " لعبد الحميد شكّيل من أبرز الدّواوين الشّعرية ثراءً بعنصر الماء ومن أبرز قصائد هذا الدّيوان توظيفا لرمز **الماء** " **قصيدة بحر وقصيدة عزف البحر**"، فالشّاعر في قصيدة " **بحر**" استطاع أن يجعل من البحر رمزا حيّا متحرّكا يملك جسد له ظلّ وقد ركّز على شكله وحركته ولونه يقول :

رأيت البحر يمضغ ظلّه..[1]

رأيت الزّرقة تمضي..

إلى نقطة ضوءٍ..

رأيت النّوارس..

سوداء..

سوداء..

ترقصُ عارية..

في عرس الفراغ المهيبْ..

ارتبط في هذا المقطع الشّعري رمز البحر بكل مكوّناته (الزّرقة، الضّوء، النّوارس) ارتباطا وثيقا بعناصر الطّبيعة وفي ذلك علاقة وطيدة مع الواقع الّذي يعكس الظّروف الاجتماعيّة والتّاريخية، فالبحر بكلّ مكوّناته ومشاهده يعكس حالة الاغتراب الموحشة الحزينة الّتي يشعر بها

1 – عبد الحميد شكّيل، البحر الذي رأيت في المنام، دار خيال للنّشر والتّرجمة،د ط، الجزائر، 2022، ص13.

الإنسان العربيّ، فهو في رحلة بحث لا منتهية تشبه رحلة السّندباد الغامضة في عالم مائي، مهول، مخيف رمز الصّراع من أجل البقاء والعودة وكذا تحقيق الشّعور بالانتماء يقول :

كان البحر..يتمدّد على أعمدة الدّخّان.. [1]

كان النّورس..نجمة زرقاء على ساحل الضّوء..

كان الصّيّاد الأقرع.. يشحذ سكاكين الزّرقة..

كان الموج السّاذج.. يصفّق لحيتانٍ ملسوعة، بزفير الماء..

كان الوقت..يتأرجح على عيدان الضوء..

كان الرّمل.. يعبر مراكب، تلهج بالأشواق..

كان الزّورق الأعمى..يرفس ظلّ الشّاطئ..

وفي قصيدة " **عزف البحر**" سرعان ما يتحوّل هذا الرّمز المخيف إلى وطن يشعر فيه الشّاعر بالرّاحة والاطمئنان وسرعان ما يتخطّى الشّاعر حاجز الاغتراب بعد حزن وألم كان بمثابة « غيوم تمطر العالم خيرا ومعرفة »[2] .

وهذا بعدما أدرك فعلا أن رحلة البحث عن الشّعور بالانتماء ستكلّل بالنّجاح يقول :

كان البحر سماء ..[3]

كنت الصّمت..ومرايا الشّطح..

على حدود النّاي..كانت السّيدة الفارعة..

تنسج بردة الوقت..وتغنّي لصباحات الطل..

1 - عبد الحميد شكّيل، البحر الذي رأيت في المنام، دار خيال للنّشر والتّرجمة، الجزائر، 2022، ص13.

2 -جبران خليل جبران ، العواصف، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة أنيس، الجزائر ، ط1 ، 1992، ص 164.

3 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

لا صمت في صنوج الدّراويش..

وهو يكتبون أوراد العشّاق !!..

كنت وحيدا جدّا..

أبحث عن وطن يتناسل، في مرايا الضّوء..

وأحابيل الأسرار !!..

يهدهدني بأغاني الطّير،

ويطعمني بأغاريد الأنهار !!..

لقد تجاوز **البحر** – وهو أحد الرّموز الطّبيعية المتدفّقة الحاملة لدلالة **الماء**– ، الواقع البسيط وكشف من خلال دلالته المخبوءة عن حالة الإنسان العربيّ الّذي يرغب في تحسّن واقعه وتجديد أرضه نحو الأفضل لأنّ من واجبه : « أن يصون الإيجابي المتبقّي في العالم وأن يوقظ البشر حتى يذهبوا إليه»[1] . وبهذا سعى رمز **الماء** إلى « تشكيل خلق جديد من علاقات جديدة في طريقة جديدة من التّعبير قصد الإيحاء لأنّ « طبيعة الرّمز طبيعة غنيّة مثيرة »[2]، وخاصّة رمز **الماء** بكل تواجداته وأشكاله سواء كان بحرا أو نهرا أو مطرا وكذا طوفانا أو نبعا.

يشكّل **الماء** كرمز طبيعي عالما مادّيا ومكانا تتوحّد فيه الذّات الشّاعرة مع أفكارها وطريقة عبور إلى عالم الإيحاءات المعبّرة عن شحنات فكريّة رغبة في التّغيير وكشف الواقع المحجوب لرسمه في ثنايا القصيدة بطريقة غير مباشرة تسعى دائما لفضحه وإزاحة الغموض عنه وهذا ما

1 – فيصل دراج ، صورة الشاعر في التطور الرومانسي جدل مع أدونس حول صورة الشاعر وصفاته، مجلة نزوى منشورة الكترونيا على الرابط التالي:
https://www.niZWA.com/%D8%B5%D9%88%D8%B1%

2 – عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر،ط3، بيروت ، دار العودة، 1981 ، ص 196.

نلاحظه أكثر في ديوان: « **عندما يذبل الماء**»[1] ، لهيثم سعد زيان من خلال قصيدتي : "**العبير المالح** " و "**حينما يذبل الماء** " ففي قصيدة **العبير المالح** يظهر لنا التحام كبير بين الشّاعر والبحر فهو مأواه وموطنه ومقبرة أسراره ومتنفّسه الوحيد الّذي ينسيه همومه لأن **الماء** « علاج يطرد الأمراض »[2]، وعنصر يبعث الحياة

يقول :

أتوجّس خيفة من عبيرك المالح
أنا البحر الذي يبحث عن نغمة الانتماء
لا تستهويني سنفونيات الموج المهاجر
على متن هسيس الدموع ...
عروس البحر أنت ، تزفّين البحر الى نوايا
الأعماق
تضفرين من زبد الشّك حكايا الألف دهشة
ودهشة
طعمك عاصف كشتاء النازحين
لونك ضاحك كربيع الثائرين
وعلى تلال الشوق يرتسم وله القانتين
الملح ذاكرة المتعبين
مدونة الراكضين نحو الشمس
ما طعم البحر إنْ انسحب الملح من رموش
العروس
ما طعم الانتماء حين يذوب البحر ويتبخر آخر
معاقل الملح الأجاج[3].

1 – هيثم سعد زيّان ، عندما يذبل الماء . طبع المؤسسة الوطنية للاتصال ، النشر والاشهار ، وحدة الطباعة الرويبة ، الجزائر ، 2013 ، ص 35.

2 – غاستون باشلار، الماء والأحلام ،دراسة عن الخيال والمادّة ، بيروت، ط1 ، 1980 ، ص 176.

3 – هيثم سعد زيّان ، عندما يذبل الماء. طبع المؤسسة الوطنية للاتصال ، النشر والاشهار ، وحدة الطباعة الرويبة ، الجزائر ، 2013 ، ص 35.

يعزّز رمز **الماء** الوعي المأساوي بالغربة الّتي باتت من خلال لعبة التّرميز « قرينة لألم والمعاناة والجلد المبرح تغدو جراحا تنكأها الذّكرى وتعمّقها»[1] . فقد أصبح الشّاعر طفلاً يبحث عن أمّه يريد أن يسبح في هنائها ومائها العذب الّذي يحمل إليه « عناصر عذبة وخصبة ، فالمياه التي هي أمّهاتنا ... تأتي إلينا متتبّعة سبلها وتوزع علينا حليبها » [2]. فالبحر كرمز كلّي يوحي بالأمومة الثّكلى تتفرّع منه رموز جزئية تتناثر لتعكس النّزاع القائم بين الانتماء واللاإنتماء كالطّعم المالح الدّال على الذّكريات التي تغذّي تعب المهاجرين فهي بالنّسبة للشّاعر ماء ينقص ويجفّ لكن لا يموت في ذاكرة لا تزال حيّة باحثة توّاقة متعطّشة لحضن وطن يحتويها ويخلّصها من الخطر إنّه **الماء** – "البحر" رمز الأمومة الخصبة الدّفاقة بماء يروي ظمأ المشتاقين لحظة الشّعور بالاغتراب وبهذا يسمو رمز البحر إلى عالم الحلم الواعي من خلال لغة رمزيّة « تعمّد إلى تجاوز الإشاري إلى الانفعالي لتأخذ من العالم الخارجي صورتها العيانية ومن العالم الدّاخلي بعدها الانفعالي المختلط حيث نختلط فيه عوالم الأحلام والواقع واللاواقع »[3] .

أين يستطيع الشّاعر تحقيق بعض آماله وأحلامه ، كما يسعى رمز الماء في قصيدة : " **عندما يذبل الماء** " إلى « تشكيل خلق جديد من علاقات جديدة في طريقة جديدة من التّعبير قصد الإيحاء لأنّ طبيعة الرّمز غنيّة مثيرة »[4].

فقد اتّخذ الشّاعر في هذه القصيدة من **الماء** مصدرا خصبا ومنهلاً دفّاقًا لرسم ملامح قصيدة غامضة حيث ورد **الماء** في ثناياها ليروي عطش الأفكار والحروف فيزهر الشّعر معبّرا عن

1 – محمد علي الموساوي، الرّمز في الشّعر الفلسطيني المعاصر ، قراءة في شعر معين بسيسو، سميح القاسم، محمود درويش ، جامعة منوبة، كلية الادب والفنون والانسانيات بمنوبة، 2013 ، ص454.

2 – غاستون باشلار، الماؤ والاحلام ، دراسة عن الخيال والمادّة ، بيروت ، ط1، 1980 ، ص 1975.

3 – محمد ارحومة ، مسرح صلاح عبد الصبور، دراسة فنية،بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1990،ص111.

4 – عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر،بيروت، دار العودة ، 1981، ص196.

قصص الطفولة الظمأى راسما تفاصيل رحلة الاغتراب وملوّنا لعذابات الغربة وجعلها إشكالاً أنطولوجيا وكأنّها « مفرغة للوجود من المعنى باعثة على اليأس بل قلّ التّلاشي والذوبان »[1] .

فالشّاعر يخفّف من غربته عن طريق قول الشّعر فهو المتنفّس الوحيد الّذي يتمّ من خلاله إثبات الهوّية وتحقيق حلم العودة للشّعور بالانتماء بعد التّطهّر بـ**ماء** الشّعر المقدّس الّذي يسعى إلى تطهير الواقع من عفن المعاناة والظّلم وبهذا بات رمز الماء رمزا خلّاقا ساطعا، ارتقى بالرّؤية المألوفة إلى رؤيا الأفكار الطّامحة لتتحوّل من عالم الحرف والإبداع إلى عالم الواقع يقول:

"كنفشيوس" يعدّ لتفسير فلسفة البقر على
مقاس مروج التبت
يحتسي بعضا من حكمة الصّموراي...
ينذر بميلاد الماء ... الماء وفقط.
حينما أردت إجتياز اللاشيء، أثرت ان استوقف
فلولا أفكاري الخجولة
لم كل هذا الوقت العاطل عن العمل؟
عندما كان لعقارب الساعة جولة لا متناهية
حول مدار الشمس، كان للحب سلاسة ونفاذ
كان للموج قصص من خشب
تحكيها أشرعة " ماركو بولو" لجشع النخاسين....
وكان لي عبث الأصابع بترنيمة الورق وقرقعة
الحبر في قعر الدواة
ينتابني حنين للثّم أزقة " اشبيلية" وحشد آلاف
الحروف المغتربة[2]

1 – محمد علي الموساوي ، الرمز في السعر الفلسطيني المعاصر، قراءة في شعر معين بسيسور سميح القاسم، محمود درويش، محمد علي، جامعة منوبة، تونس ، كلية الاداب والفنون والانسانيات بمنوبة، 2013 ، ص 456.

2 - هيثم سعد زيّان، عندما يذبل الماء، منشورات Anep ، 2013 ، ص 41-42.

تغذّي الشّاعرة "لطيفة حساني" ديوانها : "**وشاية الماء** "[1] برمز **الماء** لأنّها وجدت فيه الوسيلة المالكة لطاقات خلاقة لا محدودة تنطلق به من عالم الواقع كمادّة مادّية لتصل من خلاله إلى عالم الوعي الحامل لدلالات تفضح واقع المتلقّي وتكشف له حقائق عادة ما تكون صادمة ومفاجئة فرمز **الماء** إذن ليس تقنية معزولة عن اللّعب اللّغوي بل هو جسر عبور للإفضاح عن التجارب البشرية الحاملة للقيم الإنسانية فهو بمثابة الناقوس الذي يعلن ميلاد الحقيقة النقية المتطهرة **بماء** مقدّس تقول في قصيدتها **وشاية الماء** :

تنساب بي
غربة النّايات
أغنية لها وليّ
في جراح الكائنات صدى

ذوّبتني في مياه الكشف أمنية
وفي التّجلّي
فناء يحضن الأبدا
أراقص اللّيل
والايقاع مسبّحة
فيومض الورد في خلواتنا رشدا

نجم تحسّس
قبل البدء أوردني
أطفأت شمعات أعوامي ليتقدا

أودعت فيه أساريري
ليرجع لي عمرا
على جمرنا يستقرىء البردا

1 - لطيفة حساني، وشاية الماء، ط1، المثقف للنشر والتوزيع، 2018، ص 13-15.

كما تنفسني التّاريخ
أحجية
مفتاحها في دمّ العشّاق والشّهدا

يا ماء يا وطن الأقدار
أجلّني غيم
يواعدني أن لا أعيد سدى

قداسة الماء
لمّا ضاق بي أفقي
راحت تفتح بالحدس القديم مدى

ضاق الوعاء
بروح كلّما رحبت
تقمّصتني ضياء يخلع الجسد[1]

تتوحّد الذّات الشّاعرة مع **الماء** في هذه المقاطع وتجعل منه وسيلة لرحلة خلاص من العالم الكوني إلى العالم الرّوحاني عالم المعتقدات عالم الرؤيا العميقة المتطهّرة **بالماء** المقدّس من كآبات الجراح « فالمياه رمز الانقياد واللّيونة والشّفافية والتّطهير والمعمودية »[2]. بغية الوصول إلى لحظة التّجلي والكشف عن الأسرار الكونية ليشي بها **الماء** وينقيها من القيم المزيّفة ، داعيا إلى ضرورة المحافظة على الرّوح وعالمها المثالي الذي تخلى عنه عامة البشر. حقيقة هو رمز **الماء** الحامل لدلالة المطهر من دنس العبودية العمياء والعرجاء على حدّ تسمية جبران خليل جبران وصولاً إلى معارج التّطهير والانفتاح نحو عالم قيمي عقائدي مثالي.

1 – لطيفة حساني، وشاية الماء، ط1، المثقف للنشر والتوزيع، 2018، ص55–56.

2 – صبحي السناني ، الصورة الشعرية الفنية (الأصول والفروع) ، ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني للكتاب،1982،ص19.

فالرّمز لعبة تحكّمت فيها الشّاعرة بإمكاناتها الخاصّة وأسلوبها المميّز ولغتها الصّوفية أين «يعبر العالم الدّاخلي من خلال العالم الخارجي أي من خلال المادة ولكنّها ليست المّادة الحسّية ولا العقلية ولا العلمية وإنّما هي المّادة الرّوحانية إن جاز التّعبير، ينبغي أن يكون الفنّان قد استنبطها وولج إلى أحشائها وأقام في قلبها بعد أن فحصّ غلافها الخارجي الزائف»[1].

وهذا ما يؤكّد تمردّ رمز **الماء** ومعارضته للثّوابت المتحجرة والأعراف الفاسدة العطشى التي ستصبح صالحة بطوفان التّطهير الذي لن تعطش القيم المثلى بعده أبدا.

1 – إيليا الحاوي، الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، 2ط ، بيروت، دار الثقافة، 1983 ، ص 12.

أمّا في قصيدة "**صبوة**"[1] فقد جاء **الماء** محملا بدلالات رمزية حيث أيقظ في القصيدة كل الدّلالات السّلبية فقد وصف مستقبلا مجهولا في ظلّ الجفاف العاطفي وانكسارات الحياة المتوالية تقول الشاعرة :

أصغي إلى الماء ..

أم أستنطق السّحبا
أم أنّ بيني وأسباب الندى حقبا
ماذا دهى طائري
ماعاد يعرفني
أوحى له الهجر حتّى أنكر النّسبا

ماذا سنكتب يا وقتا يؤلمنا نهرا
لنشرب من خيباتنا لهبا

كنّا صغارا
نغنّي للهوى وغد
وجاءنا الغد من لا وجهة تعبا

وضللتنا مواعيد مؤجلة
حتى غدونا على نيرانها حطبا

فهذا **الماء** الصّاخب الّذي سيظل يتكلّم ربّما يكون رمزا للتّاريخ الأليم، وتعطّشه لأحلام المستقبل وأمله في أن تزهر آمال الغد الّذي يؤمّلنا دائما بنهر جديد لكنه في كلّ مرّة ة يأتي محملاً بالخيبات والانكسارات **فالماء** هنا جاء محمّلا بمشكلات الفرد العربي التي تنساب انسيابا منكسرا في كل مرة أملا في التّغيير وفي غد سيظل مؤجلاً مزّودا في كل مرة بفشل الانتظار المتعب الذي

1 – لطيفة حساني ، وشاية الماء.

يعكس الواقع المتأزّم الجاف حدّ الاحتراق في عالم غير بريء عالم جفاف وانهيار القيم عند غياب **الماء** الذي سيروي عطش المبادئ لتزهر، وبهذا تكتمل دلالة رمز **الماء** في هذه القصيدة وتحققت مقصدية الشّاعرة من وراء توظيفه لأنّ الشّعر الرّمزي حسب أندريه جيد (A.Gid) :« حنين دائم إلى جنّة مفقودة والجنّة تختفي وراء الصّور الّتي هي رموز وكلّ ظاهرة رمز إلى حقيقة وللشّاعر واجب واحد هو أن يبنيها، إذ الشّاعر هو الذي يدقّق النّظر فيرى الجنّة من خلال الظّواهر»[1]. ويرى كذلك ما هو كائن و ما يجب أن يكون من خلال نقل الواقع بكل تخوّمه بواسطة سلاحه الذي يراه مناسب ألا وهو الشعر.

1 – محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر . المقدمة . ص 03.

يشتغل كثير من الشّعراء الجزائيين على معجم **الماء** ، فهاهو الشّاعر مصطفى دحية يكتب

" بلاغات **الماء** "[1] عنوانا رئيسا لمجموعته الشّعرية، وله نصوص أخرى منها " استهلالات آية الماء 1-2 "[2] وله " رقصة **الماء** "[3].

وكذلك نصادف تفاعلا مثيرا مع عنصر **الماء** في ديوان " رجل من غبار " للشّاعر عاشور فنّي حيث يقول :

سوف نفرح هذا المساء

لما يسُيّر من أغنيّات

وما يتوفّر من أصدقاء

مثلما يفرح الحبشي بحبة قمح

ويحتفل العربيّ بقطرة ماء[4]

وتحتفل الشّاعرة الجزائرية "خالدية جاب الله" في ديوانها " **للحزن ملائكة" تحرسه بالماء بين ثنايا قصيدتها**" نورس يأتي قبل الإبحار بقليل"[5] .

فتورد لفظة البحر في العنوان الرّئيس وكذلك لفظة "**الماء**" في قولها :

أُوسِّدُك القلب يا وطنا

يتمرّغ طفلا

1 - مصطفى دحية ، بلاغات الماء، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.

2 - الديوان نفسه ، ص 21-27.

3 - الديوان نفسه ، ص 69.

4 - عاشور فنّي ، رجل من غبار، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2003 ،ص 67.

5 - خالدية جاب الله ، للحزن ملائكة تحرسه ، منشورات احمل القلم . ط1 ، 2008 ، ص 21.

بزهو الدّروب

وأشحذ أزهارا بلدتنا

وارسم سور صديقتنا

كي يغترّ هذا الزمان

دليل الحروب

سأتلو على عفّة الماء

كلّ الحكايا التي سافرت

نحو أرض الطيوب

وفي الخطاب الشّعري النّسوي الجزائري نلتقي مع النّص "ومنّا ألوف"[1] للشّاعرة " وسيلة بوسيس" حيث تقول :

لماذا أعيش هنا

كعشب دخيل

يعرّش بين ضلوع النّبات

وينمو من الماء

والنّار

والصّوت

والشّمس

وللشّاعر رابح حمدي من ديوانه " مدائح السّنديان" نصّا بعنوان " ينابيع "[1] يقول فيه :

1 – وسيلة بوسيس ، أربعون وسيلة وغاية واحدة ، منشورات وزارة الثقافة ، ط1 ، 2007 ، ص 26.

أتقمّص وجه المدى

أتدثّر بالنرجس الفضّ

والزنجبيل المعتّق بالشّوق والاحتراق

... دمّي شجر

يتهدّج في جرس الدّمع

ساقية المنشدين

ويختلف الشاعر " عاشور فنّي" في استدعائه لعنصر **الماء** عن بقية شعراء جيله فهو يحمّله طاقة فكرية وأبعاد صوفية ورمزية غاية في الغموض يقول من نصّه " سماء أولى "[2]

في انتظار بدايته

يتشكّل ماء وظلاّ

في انتظار نهايته

سيعيد القصيدة

معنى وشكلا

ينبني نصّ عاشور فنّي على صور مفارقة، تثير الدّهشة والغرابة، فهو يجعل من **الماء** عنصرا ماصيا للدّلالة التي تبوح بها سموات الشّاعر فتبطن صورا عكسية، حيث نرى أيام الشاّعر على حبل من سماوات في انتظار السّقوط ، وليس إلا **الماء** خلاصا له ونجاة لأحلامه المؤجّل ، فكان **الماء** عنده كلمة مقدّسة شبيهة الوحي ابنة زمن الشّاعر " عاشور فني " إذ يقول :

في انتظار بدايته

1 – رابح حمدي، مدائح السنديان ، منشورات اتحاد كج ، ط1، 2001، ص 41.

2 – عاشور فنّي، أخبرا: أهدكتم عن سماواته ، منشورات Anep ، ط1 ، 2013 ، ص24–25.

يتشكّل ماء وظلا !

إنها صورة البعث والنّشور والتجدّد في خضم حركة الزّمن، وفي ذلك قداسة المكان والزّمان ليشكّل منهما قداسة الإبداع في صورة " **ماء** يتشكّل في صورة نبيّ يحمل النّجاة للتّائهين" !.

فلفظة **الماء** عنده كما عند أغلب الشّعراء مشحونة بدلالات ذات وقع قويّ فيه استحضار لأجواء الشّعراء المائيّين الوجدانيين ، باتجاه رومانسية حالمة تصطدم بواقع متأزّم، يظلّ الإنسان من خلال رؤيا الشّاعر " عاشور فنّي" ينتظر حدوث معجزة ما... لعلّ تلك المعجزة تتحقّق **بالماء**، **الماء** كما يراه الشّعراء لا كما نراه نحن .

خـــاتـمـــة

خاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكن أن نخلص إلى جملة من الإستنتاجات كما يلي:

- يكون الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر– في الثّلاثين سنة الأخيرة من مطلع الألفية الثالثة، قد تجاوز الحداثة الأولى إلى ما يطلق عليه ما بعد بعد الحداثة.

من حيث معمار نصوص الشّعراء الجزائريين المعاصرين ومن حيث المخيال الإبداعي، وتكاد أغلب موضوعاته تدور حول قلق ومعاناة وآفاق المتوقّع عند الإنسان المعاصر.

– يشكل (معجم الماء) – أنّ صح المصطلح – يشكل في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر مظهرا لافتا من مظاهر التجريب الشّعري على مستويي البناء اللّغوي والتّصوير الفني خلال الخمسين سنة الأخيرة .فالكثير من شعراء وشاعرات الأجيال الأخيرة تستهويه استدعاء ذلك المعجم إلى نصوصه.

يشكل أولئك الشعراء خطاباتهم بالماء إن على مستوى العناوين الرئيسة (عناوين دواوينهم)أو العناوين الفرعية (عناوين النصوص) .

لم يعد– في الخطاب الشّعري الجزائري المعاصر وتحديدا في الاشتغال على التّشكيل بالماء –تكرار لنماذج بعينها، فكلّ شاعر من الأجيال الجديدة (مطلع الألفيّة) يعتبر أنموذجا في حدّ ذاته في طرق توظيفه لعنصر الماء، فأولئك الشّعراء يستحضرون في تجارتهم ثقافات متنوّعة منها الفلكلور الشّعبي، والأساطير والحكايا... والفلسفة والفكر والرّؤيا مرورا بالأديان السّماوية بكلّ ما تحمل... ثم تحوّل إلى رموز غاية في الإيحاءات الفنّية والجمالية بل تتجاوز إلى تحقيق الإبداع والجمال في آن.

خاتمة :

– يعتبر " **التّشكيل بالماء** " من أبرز الأدوات الإبداعية الشّعرية في الخطاب الجزائري المعاصر ويتوزع بصورة لافتة عند معظم شعراء فترتي الثّمانينيات إلى شعراء الألفية الثالثة.

– ينال معجم الماء نصيبا من اهتمام الشعراء الجزائريين متمثلاً في ما يدور في ذلك المعجم ومنه (الماء ، البحر ، الغيث .. المطر ، الموج – النهر..).

– للشّعراء الجزائريين المعاصرين إلمام واسع بثقافة ذلك المعجم وتداعياته بناء وتصويرا...**فالتّشكيل بالماء** عند شعراء الثّمانينيات من أمثال عاشور فني وعثمان الوصيف والأخضر فلوس وجيلهم يتّكئ على ثقافة التّحول الأول من القصيدة الكلاسيكية إلى القصيدة الحداثية...،بينما التشكيل بالماء عند الشعراء الشباب (ونقصد بهم شعراء مطلع الألفية الثالثة)، تشكيل مختلف يستند إلى ثقافة أكثر حداثة ومعاصرة (كما هو عند لطيفة حساني وهارون عمري و خليل عباس...وغيرهم كثر).

– من بين كل أولئك الشّعراء الجزائريين يتّخذ الشاعر عبد الحميد شكّيل " مكانة تكاد تنتمي لكلي الجيلين في تعامله مع عنصر الماء ، فمائيات شكّيل تتّجه إلى ما يطلق عليه الاغتراب المكاني والنّفسي، خصوصا مع لفظة " البحر "فهو عنده كما عند الجيل الأول من الحداثيين الجزائريين يعني الغربة، المدينة ،السفر والرحلة باتجاه المجهول... المغامرة ...وأحيانا "المرأة."

ويتقاسم مع الجيل الجديد في تعامله مع معجم الماء ما يطلق عليه القصيدة العرفانية أو البعد الصوفي...

– التّشكيل بالماء في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر هو نوع من أنواع التناصات مع:

أ– الأديان السّماوية ممثلة في القصص القرائي (قصة يوسف ورميه في الجبّ) ، قصة أم موسى مع رضيعها موسى...قصة هاجر وسعيها بين الصفا والمروة ، قصة نوح مع الطّوفان... وقصص

أخرى وهنا تأخذ الثقافة القرآنية نصيبها عند الشّعراء الجزائريين المعاصرين ، حيث تقاطع دلالات و إيحاءات تلك النصوص مع تلك الثقافة.

ب- في الدّين المسيحي وفي الإنجيل هناك ما يسمى بالتعميد أو استحضار سيرة المسيح عليه السلام في بعض نصوص الشعراء الجزائريين المعاصرين...وهو قليل.

فأولئك الشعراء يستحضرون في تجارتهم ثقافات متنوعة منها الفلكلور الشعبي، والأساطير والحكايا... والفلسفة والفكر والرّؤيا مرورا بالأديان السماوية بكل ما تحمل ... ثم تحول إلى رموز غاية في الإيحاءات الفنية والجمالية بل تتجاوز إلى تحقيق الإبداع و الجمال في آن.

- في التشكيل بالماء في كثير من خطابات الشعراء الجزائريين المعاصرين تأتي (تيمة الماء) أو (موضوعة الماء) لتنقل ما كان هامشيا إلى المركز، وتدمج الأجناس الإبداعية بصورة تتحول معها إلى اللاأجناسية. فنحن أمام خطابات تسمى الشعرية " غير أنها تستحوذ على عناصر لغوية وفنية من أجناس أدبية وإبداعية أخرى قد تستعصي أحيانا على فهومات المتلقي فالغموض يشكل لبنة من لبنات بنائها.

- يؤكّد التشكيل بالماء في كثير من الخطابات الشعرية الجزائرية المعاصرة على "صدمة" الشاعر المعاصر: اتجاه الكون والإنسان والحياة ونواميسها فهناك إحساس طاغي ب " لا جدوى الحياة ولا جدوى مجابهة الإنسان لها" وفي تلك المواجهة العصبية تشكل (المدينة أو المدن بكل ما تحمل من متناقضات هاجسا يكشف عن مفارقات عجيبة، تبعث في دواخل الشّعراء إحساسا بالضّياع والخوف والحيرة وتدفع بهم من المجهول وفي ذلك اغتراب مكاني ونفسي.

قـائـمـة الـمصادر

والـــمراجـع

❖ **المصادر والمراجع :**

1- المصادر:

- **القرآن الكريم :**
- **الدّواوين :**

1. خالدية جاب الله ، للحزن ملائكة تحرسه، صدر عن وزارة الثّقافة ، ط1، الجزائر ،2008.
2. خليل عبّاس ، ما تسرّب من مدائن الضّوء ، كلاما للنشر والتّوزيع ، ط1، الجزائر ، 2013.
3. رابح حمدي، مدائح السّنديان ، منشورات إتّحاد ك.ج، ط1، 2001.
4. عاشر فنّي ، رجل من غبار، منشورات الاختلاف ، ط1، الجزائر ، 2003.
5. عاشور فنّي، أخيرا ...أحدّثكم عن سماوات، منشورات ANEP، ط1، الجزائر ، 2013.
6. عبد الحميد شكّيل ، البحر الذي رأيت في المنام، ط1، الجزائر ، 2022.
7. عبد الحميد شكّيل ، عطش الأنهار، ط1، الجزائر ،2022.
8. عبد الحميد شكّيل ، لا أجراس في قدم النّهر ، ط1 ، دار خيال ، الجزائر ، 2022.
9. عبد الحميد شكّيل ، مراودات النّهر ، موفم للنّشر ، الجزائر ،2013.
10. عبد الحميد شكّيل، الرّكض بإتجاه البحر،ط1، مرقم للنّشر، الجزائر،2008.
11. عبد الحميد شكّيل، تحوّلات فاجعة الماء، منشورات إتّحاد الكتّاب ، ط1 ، الجزائر، 2002.
12. عبد الحميد شكّيل، طائر لينابيع ، دار خيال ،ط1، الجزائر ، 2024.
13. عبد الحميد شكّيل، عاليا لوّح.. ليراك البحر ، ط1، الجزائر ، 2021.

14. محمد الأمين سعيدي، ماء لهذا القلق الرّملي، دار فيسيرا VESCERA، ط1، الجزائر ، 2011.

15. مسلم رباح ، يكاد دمّه يضيء ، دار الأعمال للطباعة والنشر، ط1، الجزائر ، 2023.

16. مصطفى دحية ، بلاغات الماء ، منشورات الاختلاف ، ط1. الجزائر ، 2002.

17. هيثم سعد زيّان ، عندما يذبل الماء ، منشورات ANEP، ط1، الجزائر ، 2013.

18. وسيلة بوسيس، أربعون وسيلة وغاية واحدة ، صدر عن وزارة الثّقافة ،ط1، الجزائر ، 2007.

المراجع :

1- أحمد بلحاج آية، الشّعرية كتمركز في ميتافيزيقيا الماء، الدّار البيضاء . دار النّاية ، 2010.

2- أمبيرتو إيكو، الأثر المفتوح، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط2، 2001.

3- أمحمد جلاوي . الديوان الشّعري للونيس آيت منقلات، (ترجمة الأشعار من اللغة الامازيغية الى اللغة العربية) .

4- إيليا الحاوي ، الرّمزية والسيريالية في الشّعر الغربي والعربي، ط2، بيروت، دار الثّقافة، 1983.

5- بسام قطوس، سيمياء العنوان، ط1، عمان الأردن، وزارة الثّقافة ، 2008.

6- جبران خليل جبران، العواصف، ط1، الجزائر، المؤسّسة الوطنية للكتاب، سلسلة أنيس، 1992.

7- جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة، مجلّة عالم الفكر، المجلّد 25، العدد 3، الكويت ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والأداب ، 1997.

8- جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة، مجلّة عالم الفكر، المجلّد 38، العدد 2، 2010.

9- خالدية جاب الله، للحزن ملائكة تحرسه، منشورات أحمل القلم ،ط1، 20008.

10- روارينية طاهر، التّشاكل والتّوالد في رواية حارس الضّل لواسيني الأعرج، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية ،ع 7، 2008.

11- صبحي السناني ، الصّورة الشّعرية الفنّية (الأصول والفروع)، ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني للكتاب، 1982.

12- عبد الحق بلعابد ، عتبات جيرار جينيت، من النّص إلى المناص ، ط1، الجزائر ، الدّار العربية للعلوم ناشرون ، 2008.

13- عبد القادر رابحي ، تحوّلات الشّعرية الجزائرية المعاصرة،- النّص، الشّكل ، السّياق ، ط1، دار أجيال الرّقمي ، الجزائر ، 2024.

14- عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتّكفير من البنيوية إلى التّشريحية،ط1، الدار البيضاء ، المركز الثّقافي العربي ، 2006.

15- عز الدّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط3، بيروت ، دار العودة ، 1981.

16- غاستون باشلار، الماء والأحلام، دراسة عن الخيال والمادّة، ترجمة جورج سعد، بيروت ، دار دمشق،1990.

17- فيصل دراج، صورة الشّاعر في التّطور الرومانسي ، جدل مع أدونيس حول صورة الشّاعر وصفاته، مجلّة نزوى، منشورة إلكترونيا على الرّابط التّالي :

18- محمد أرحومة ، مصرح صلاح عبد الصّبّور ، دراسة فنّية ، بغداد، دار الشّؤون الثقافية العامة ، 1990.

19- محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته، ط2، الدار البيضاء . دار توبقال للنّشر ، 2001.

20- محمد جميل النّعيمي ، العنوان في الشعر الأطرقجي ، دراسة تحليلية ، دار الخليج، 2019، نقلا عن جميل حمداوي ، السيميوطيقة والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، مج 25، ع3، الكويت ، 1997.

21- محمد علي موساوي ، الرّمز في الشّعر الفلسطيني المعاصر ، قراءة في الشعر معين بسيسو، سميح القاسم ، محمود درويش ، جامعة منوبة، تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ، 2013.

22- محمد علي موساوي ، الرّمز في الشّعر الفلسطيني المعاصر ، قراءة في الشعر معين بسيسو، سميح القاسم ، محمود درويش ، جامعة منوبة، تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ، 2013.

23- محمد فتّوح أحمد ، الرّمز والرّمزية في الشعر العربي المعاصر ، المقدمة.

2- المجلات والدّوريات :

- إبراهيم بن عرفة، جمال معتوق ، الماء بين المقدّس والطّقوس الممارسة ، المجلّة الانثروبولوجيا.
- إنسانيات المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد 19-20 ، 2003.
- عبد القادر خلّيفي، الماء وطقوسياته في منطقة القصور، مجلة إنسانيات ، العدد19-20، 2006.
- فتيحة بوتمر، أسماء المصادر في البويرة، رؤية معجمية ، مجلة إنسانيات ، العدد 19.
- مجلّة الأنثروبولوجيا.
- محمد طاهر ، الماء في القرآن الكريم ، دراسة موضوعية ، مجلّة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية ، المجلّد 29، العدد1، 2021.

3- المواقع الالكترونية :

- شريف حماني، أثالا ، أي منبع المياه، www.spotify.com2010
- فضاءات الفايسبوك لبعض الشّعراء.. الشّاعر هارون عمري

فـــهـــرس المـــحتويـــات

فــهرس المــحتويــات:

الإهـداء

مقـدمة

الفصل الأوّل

الماء في الحضارات الإنسانية والأديان السّماوية

المبحث الأوّل : الماء والفلكلور الشعبي (الأساطير).....ص11.

1- الماء والعطش في الفلكلور العربي.....ص11.

2- الماء رمز للثّواب والعقاب.....ص13.

المبحث الثّاني :الماء والأديان السّماوية :.....ص14.

1- الأديان القديمة .....ص14.

2- الأديان السّماوية.....ص14.

3- تأليه المياه.....ص14.

4- الماء في قصص الأنبياء الواردة في القرآن.....ص15.

المبحث الثّالث : الماء والتّراث الأمازيغي.....ص17.

1- الماء في الميثولوجيا الأمازيغية.....ص17.

2- عروس الماء.....ص17.

3- الحضارة الإنسانية ترعرعت في ضفاف المجاري المائية.....ص19.

4- الماء جوهر الكائنات جميعا..... 20.

5- استحضار الماء في الموروث الشّعبي.....ص20.

6- الماء والّتراث الامازيغي.....ص23.

الفصل الثّاني:

الماء والعتبات النّصّيّة

المبحث الأوّل : الماء والعنونة الرّئيسة.....ص29.

1- الماء والعنونة الفرعية.....ص29.

2- الماء والرّمز.....ص41.

خاتمة.....ص61.

قائمة المراجع والمصادر.....ص65.